أثر عِزْرا في الديانة اليهوديّة

د. أحمد معاذ علوان حقّي *

* الأستاذ المشارك بجامعة الشارقة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، دولة الإمارات العربية المتحدة.

ملخص البحث:

١ – اليهودية ديانة جديدة ظهرت في بابل.

٢ – عزرا له الأثر الكبير في تكريس الديانة اليهودية.

٣ – التوراة التي بأيدي اليهود والنصارى ليست التوراة التي أنزلت على موسى – عليه السلام –، وإن كان فيها بقايا من التوراة التي أنزلت على موسى – عليه السلام –.

٤ – الهدف من كتابة التوراة هو إيجاد كيان يهودي عنصري في فلسطين.

٥ – السرعة في كتابة التوراة جعلتها تنخر بالتناقضات، والأخطاء الفاضحة.

٦ – الديانة اليهودية ديانة متغيرة.

٧ – الشخصية اليهودية شاذة، وغير سوية؛ نتيجة عبث عزرا وأحبار اليهود.

المقدمة

الحمد لله الذي أتمّ علينا نعمه بأن رضي لنا الإسلام ديناً، فقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وأصلي وأسلم على الذي تركنا على المحجة البيضاء ليلِها كنهارِها لا يزيغ عنها إلا هالك، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين... أما بعد:

فعند دراسة أديان أهل الكتاب نجد أشخاصاً كان لهم الأثر البارز في تحريف الدين، وانحراف الناس عن الجادة، وإذا كان من الأمور المسلمة أن بولس يعد الشخصية الرئيسة في انحراف الديانة النصرانية، فإن عزرا كان له أثر لا ينكر في الديانة اليهودية، ولمعرفة ذلك لا بد من إلقاء الأضواء على حياته والهدف الذي حمله على تنظيم حياة اليهود في فلسطين، وكتابته للتوراة.

ولا شك أن دراسة هذه الشخصية، وعقليتها، وما كتبها كان لها الأثر الأقوى في تكوين عقلية اليهود، وشخصيتهم عبر قرون مختلفة، ومن هنا توضح هذه الدراسة عقلية الغزاة في فلسطين، وتصرفاتهم، وما يقومون به، وما يصدر عنهم من تصرفات شاذة تنكرها فطر بني آدم، وقد استرجعت التاريخ لفهم عقلية القوم، ولعل ذلك يساعدنا على فهم الأحداث الجارية الآن من تنكيل، وقتل، وتشريد بلا رحمة ولا شفقة، لإخواننا.

وقد حرصت على أن أُبَيِّن الملامح العامة للتوراة المحرفة، والهدف من كتابتها، وتأثير ما كتبه عزرا في العقلية اليهودية إلى وقتنا الحاضر، وما يصدر عنهم من شذوذ في التصرفات، من خلال تحليل نصوص أسفارهم المقدسة، واستشهدت بأقوال اليهود المعاصرين، والباحثين على بقاء تلك الروح العدوانية في نفوسهم إلى يومنا هذا.

والله أسأل أن يحفظ أمتنا من ضلال أحبار السوء إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الفصل الأول
حياة عزرا

المبحث الأول
نبذة تاريخية

بعد أن التحق نبي الله سليمان – عليه السلام – بالرفيق الأعلى انقسمت مملكته إلى مملكتين، مملكة إسرائيل في الشمال وعاصمتها شكيم (نابلس الحالية)، وتضم عشر قبائل من بني إسرائيل، ودولة يهوذا وعاصمتها أورشليم تتكون من قبيلتي يهوذا وبنيامين، جاء في العهد القديم أن دولة إسرائيل ارتدت فكان عقاب الله لها شديداً، وتمكن الآشوريون من القضاء على دولتهم، وإجلائهم عن أرضهم، وساقوا أهلها أسرى إلى بلادهم، ثم اختفوا عن مسرح التاريخ، وذابوا في شعوب أخرى[(١)]، وهذا ما تؤكده – أيضاً – حوليات الملك سرجون الثاني[(٢)].

ولم تعتبر دولة يهوذا بالفاجعة الأليمة التي انتهت إليها دولة إسرائيل، وسارت على الطريق نفسها التي سارت فيها أختها، فأصابها الداء ذاته، وكانت النتيجة الهلاك المدمر، والتشتت في الأرض، ولم يقتصر ملوكهم على مخالفة أوامر الله، بل ارتد عامتهم، يقول ابن حزم عن ملوك هذه الدولة: "ملك هذين السبطين في هذه المدة من بني سليمان بن داود – عليهما السلام –، تسعة عشر رجلاً، ومن غيرهم امرأة تَمُّوا بها عشرين ملكاً، قد سميناهم كلهم... كانوا

---

(١) (سفر الملوك الثاني) ١٧: ١٤– ١٩.

(٢) راجع (اليهود في العالم القديم) مصطفى كمال عبد العليم، وسيد فرج راشد: ص/ ١٥٢ –١٥٣، وسرجون ملك آشور من عام ٧٢٢ إلى ٧٠٥ق.م، ويظن أن سرجون اغتصب العرش من شلمنأصر، وكان سرجون رجل حرب، واشتهر بانتصاراته على الممالك التي حوله، مات مقتولاً في سنة ٧٠٥ق.م. راجع (قاموس الكتاب المقدس): ص/ ٤٦٣ – ٤٦٤.

كفاراً معلنين عبادة الأوثان، حاشى خمسة منهم فقط كانوا مؤمنين، ولا مزيد... فعمهم الكفر وعبادة الأوثان – في أولهم وآخرهم – فأي كتاب، وأي دين يبقى مع هذا ؟!"[1]، فكان العقاب القتل، والدمار على يد نبوخذنصر، فنهب الهيكل، وهدمه، وأحرق التوراة، والقصور، وسبى الذراري[2]، كان عقاباً قاسيًا مازالوا إلى يومنا هذا يتجرعون مرارة تلك الأيام، وقد تَمَّ سبي بابل على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: كانت في عام ٥٩٧ق.م، واختلف في عدد المسبيين فيها، وإن كانت غالبية الباحثين يرجحون أنهم عشرة آلاف، ويطلق الباحثون عليها السبي الأول.

المرحلة الثانية: كانت في عام ٥٨٦ ق. م، وتم تدمير أورشليم، ويطلق عليها الباحثون السبي الثاني، واختلف في عدد المسبين ما بين أربعين ألف وخمسين ألف.

المرحلة الثالثة: كانت في عام ٥٨٢ ق. م، اعتمد فيها المؤرخون على ما جاء في سفر أرميا من أنهم كانوا سبعمائة وخمسة وأربعين فرداً[3]، وهي السبي الثالث.

ولما فقد اليهود دولتهم، التفوا حول أحبارهم، ودينهم يلتمسون فيهما العزاء، ورأى أحبار اليهود السبيل الوحيد للمحافظة عليهم من الانحلال والذوبان في شعوب ومجتمعات قوية لها السيادة – بخاصة وقد شاهدوا الأسباط الأخرى من دولة إسرائيل قد ذابت في الشعوب، ولا شك أن هذا المصير قد روَّع الأحبار –، فدفعهم أن ينفثوا في روعهم نقاء الجنس، وامتيازه، وأن الله اختارهم لمهمة عظيمة، وأنهم العنصر المميز في هذه الأرض، ومن ثم نظَّمَ الأحبار حياتهم، وحددوا علاقاتهم فيما بينهم، وكانت هذه التشريعات تدور

---

(١) ابن حزم (الفصل في الملل والنحل): ١/ ١٩٦.
(٢) راجع (الملوك الثاني) ١٧: ٧–٢٧، و ٢٥: ٩–١٧.
(٣) راجع (الملوك الثاني) ٢٥: ٢٤ – ٢٥، و(أرميا) ٤٠: ٩، و ٤١: ١– ١٨، و٥٢: ٣٠، و(تأثر اليهودية بالديانة الوثنية) فتحي الزغبي: ص / ٢٥٨ – ٢٦٨.

في دائرة القبيلة والكهنة، ولا تتعداهم إلى غيرهم من الشعوب، ولم يكونوا يشعرونهم بأي التزامات أخلاقية تجاه الشعوب الأخرى.

يقول عن هذه العنصرية وسببها الحبر المهتدي السموأل بن يحيى: "وكان أئمتهم قد حرموا عليهم... مؤاكلة الأجانب أعني من كان على غير ملتهم، وحظروا عليهم أكل اللحمان من ذباحة من لم يكن على دينهم؛ لأنهم - أعني علماءهم وأئمتهم - علموا أن دينهم لا يبقى عليهم في هذه الجلوة مع كونهم تحت الذل والعبودية إلا إذا صدوهم عن مخالطة من كان على غير ملتهم، وحرموا عليهم مناكحتهم، والأكل من ذبائحهم، ولم يمكنهم المبالغة في ذلك إلا بحجة يبتدعونها من أنفسهم ويكذبون بها على الله تعالى"[١].

وقال أيضاً: "فقد تبين مما ذكرناه أن الحخاميم هم الذين شددوا على هذه الطائفة دينهم، وضيقوا عليهم المعيشة والإصر، فقصدوا بذلك مبالغتهم في مضادة مذاهب الأمم حتى لا يختلطوا بهم؛ فيؤدي اختلاطهم بهم إلى خروجهم من دينهم"[٢].

عزل الأحبارُ اليهودَ عن بقية العالم، ونظموا حياة اليهود تنظيماً دقيقاً وقاسياً، وجعلوا منهم فئة محقوداً عليها، وأخذوا ينسجون خيوط هذه العنصرية جيلاً بعد جيل، حتى تكرست في ذاكرة هذا الشعب، وأصبحت له جبلة لا يستطيع التخلي عنها، وكان لا بد من جهة أخرى أن يدغدغ الأحبار نفوسهم ببث أحلام وردية عن عودتهم إلى فلسطين، موطن اللبن والعسل[٣]، وأن يهوه سيخلصهم من الأسر، كان هذا الوعد ثمناً لتلك القسوة التي مورست عليهم من قبل أحبارهم، ولكن كان وعداً لم يحدد بتاريخ.

وقد أكد الباحثون في العصر الحديث، أن "الحياة اليهودية من ذلك الحين (أي النفي البابلي) منظمة حسب تعليمات الفريسيين (أي الكتبة الذين وضعوا

---

(١) (إفحام اليهود) السموأل بن يحيى: ص/ ١٦٢ - ١٦٣.
(٢) (إفحام اليهود) السموأل بن يحيى: ص/ ١٧٥.
(٣) كثيرا ما تطلق التوراة على أرض فلسطين إلى أنها أرض تفيض لبناً وعسلاً، كناية عن رخاء تلك البلاد، راجع (الخروج) ٣٣: ٣.

التوراة) كما أعيد وضع تاريخ اليهود من وجهة نظر فريسية، وأعطي وجه جديد للتشريعات السابقة، كما حلت سلسلة جديدة من التقاليد القديمة، وقد كيفت الفريسية طبيعة اليهود، وكذلك حياة وتفكير اليهودي للمستقبل كله"(١)، ومن هنا نستطيع القول: إن ديانة جديدة تكونت في الأسر البابلي؛ لأن عامة الأسرى كانوا كفاراً قد ارتدوا عن دينهم قبل الأسر، وفقدوا كتابهم، وولع اليهود بمحاكاة الوثنيين وخاصة البابليين(٢).

وبعد نحو ستين سنة من الأسر البابلي انتصر الفرس بقيادة ملكهم (كورش) على البابليين عام ٥٣٩ ق.م(٣)، وكان يوماً مشهوداً من أروع أيام بني إسرائيل حين دخل (كورش) بابل فاتحاً، ورفع الإصر والأغلال عن اليهود، وكان الفرس على علاقة طيبة مع اليهود الذين كانوا يقطنون بابل؛ لأنهم ساعدوهم على القضاء على دولة بابل، وبعد أن استقر الملك لكورش نال اليهود الحظوة لديه، وتبوأ كثير من رجالاتهم مكانة مرموقة في البلاط الملكي لدى ملوك الفرس، فأصبحوا من المقربين، وقد أصدر كورش أمراً في السنة الأولى من ملكه بإعادة بناء الهيكل الذي دمره (نبوخذ نصر)، وأمر اليهود بالتبرع لبناء الهيكل، وأمر بإعادة جميع الغنائم التي اغتنمها (نبوخذ نصر) من الهيكل، وهي أواني من ذهب، وفضة، وسمح لمن أراد من اليهود أن يعودوا إلى أورشليم برفقة زَرُبَّابَل بن شالتيئيل(٤) – من نسل داود – عليه السلام –، وذلك في عام ٥٣٨ ق.م(٥)،

---

(١) (الإسلام في مواجهة الاستشراق) عبد العظيم المطعني: ص/ ٥٣-٥٤. نقلا عن (التوراة تاريخها وغاياتها) ص/ ١٦٠.

(٢) راجع (بنو إسرائيل واليهود والذين هادوا دراسة تحليلية) أحمد معاذ حقي، ص/ ٢٣. مقال في (مجلة جامعة الشارقة) المجلد ٣، العدد١، محرم ١٤٢٧هـ/فبراير ٢٠٠٦م.

(٣) راجع (أخبار الأيام الثاني) ٣٦: ١-٢٢.

(٤) زَرُبَّابِل: اسم أكادي معناه (زرع بابل) أو (المولود في بابل)، وفي العهد القديم أن شالتيئيل مات بدون ذرية، ولعل فدايا أو شالتيئيل تزوج بامرأته وأقام نسلا لأخيه حسب شريعة اليهود فنسب زربابل إلى لشالتيئيل، رجع اليهود من بابل إلى أورشليم في أول دفعة تحت قيادته واشترك في بناء المذبح. راجع (قاموس الكتاب المقدس) ص/ ٤٢٥.

(٥) راجع (تأثر اليهودية بالديانة الوثنية) فتحي الزغبي: ص / ٢١٦.

ولم يتحمس شباب اليهود لهذا التحرير؛ لأن كثيراً منهم قد تأقلموا على هذه الأرض، وأصبحت لهم حقول خصبة، وتجارة رائجة[١].

وبعد العودة من بابل "آلت القيادة إلى طبقة الكهنوت المتمركزة حول الهيكل، وتحالف معهم أثرياء اليهود الذين تأغرقوا"[٢]، أو قل إن شئت استمرت القيادة في طبقة الكهنوت؛ لأن اليد الطولى كانت لطبقة الكهنوت في بابل في المجتمع اليهودي.

المبحث الثاني
نسب عزرا وسيرته

عزرا: اسم عبري معناه (عون)، والاسم نشأ كاختصار لاسم عزريا[٣].

جاء ذكر نسب الكاهن عزرا في العهد القديم في سفر عزرا ونسبه إلى هارون – عليه السلام –، على النحو التالي: عَزْرَا بن سَرَايَا بن عَزْريَا بن حِلْقِيَّا ابن شَلُّومَ بن صَادُوقَ بن أَخِيطُوبَ بن أَمَرْيَا بن عَزْريَا بن مرَايُوثَ بن زَرَحيْا بن عُزِّي بن بُقِّي بن أَبِيشُوعَ بن فِيْنَحَاسَ بن أَلْعَازَارَ بن هَارُونَ[٤].

وتاريخ عزرا يجده القارئ في (سفر عزرا)[٥]، وجزء من أخباره موجود في (سفر نحميا)[٦]، وهذان السفران كانا يشكلان سفراً واحداً كملحق لسفر أخبار الأيام، ولم يفصلا إلا في وقت متأخر، وإذا كان هذان السفران ينسبان إلى كل من عزرا ونحميا، فإنهما في وضعهما الحالي لم يكتبا بيد عزرا ولا يد نحميا، وهناك أخطاء وتضارب بين السفرين، ويرجح أن وضع السفر في

---

(١) راجع (قصة الحضارة) ودل ديورانت: ٢/ ٣٦٤– ٣٦٥.
(٢) (الصهيونية والعنف من بداية الاستيطان إلى انتفاضة الأقصى) عبدالوهاب المسيري: ص/ ١٥.
(٣) راجع (قاموس الكتاب المقدس) ص/ ٦٢١–٦٢٢.
(٤) (عزرا) ٧: ١ – ٦.
(٥) الإصحاح: ٧، ٨، ٩، ١٠.
(٦) الإصحاح: ٨، ٩.

صورته الأخيرة يرجع إلى منتصف القرن الرابع ق.م أو بعده[١]، ومن الملاحظ: أن أسلوب التعبير في صياغة (سفر عزرا) يوحي بجلاء أنه لم يكتبه عزرا، وإنما كتبه من جاء بعده، مثال ذلك: أن رسالة الملك تبدأ هكذا: "وهذه صورة الرسالة التي أعطاها الملك لعزرا"[٢]، ولو كان هو الكاتب لقال: هذه صورة الرسالة التي أعطاها الملك لي، ولو كان عزرا كاتب السفر لما قال عن نفسه: "وهو كاتب ماهر في شريعة موسى"[٣]، وهذا يدل دلالة واضحة أن الكاتب ليس عزرا قطعاً.

جاء في (سفر عزرا): أن الملك (احشويروش) (٤٨٦-٤٦٥ق.م)[٤]، تولى الملك بعد كورش، ثم جاء بعده الملك (أرتحششتا) (٤٦٥-٤٢٤ق.م)[٥]، ثم (داريوس) (٤٢٤-٤٠٤ق.م)، ثم تولى الملك (أرتحشستا) (٤٠٤-٣٥٨ق.م)[٦]، وفي عهده نال الكاهن عزرا الحظوة لديه، وكان موظفاً مرموقاً في بلاط ملك الفرس (أرتحتشستا)[٧]، ومستشاراً له في شؤون الطائفة اليهودية التي كانت تقيم في بلاد ما بين النهرين منذ أيام السبي، وقد تمكن عزرا أن يكسب ثقة الملك؛ ومن ثم أن يحصل منه على قرار للسماح لليهود بالعودة إلى القدس، وإقامة حكم ذاتي لهم في فلسطين، بحيث يقيمون مجتمعهم على التقاليد العبرانية، أما في علاقتهم الخارجية السياسية فيوالون الفرس، ويخضعون لهم[٨]، وفي السنة السابعة من ملكه استطاع أن ينال منه قراراً بعودة من شاء من اليهود من السبي إلى القدس ومعه قرار تهديدي، "من ارتحشستا ملك الملوك إلى عزرا الكاهن كاتب شريعة إله السماء الكامل إلى آخره قد صدر مني

---

(١) راجع (تأثر اليهودية بالوثنية) فتحي الزغبي: ص/ ٣٧٠.
(٢) (عزرا) ٧: ١١.
(٣) (عزرا) ٧: ٦.
(٤) راجع (قاموس الكتاب المقدس) ص/ ٢٩.
(٥) راجع (قاموس الكتاب المقدس) ص/ ٤٥.
(٦) راجع (قاموس الكتاب المقدس) ص/ ٤٥.
(٧) راجع (سفر عزرا) الإصحاح الأول و الخامس والسادس والسابع.
(٨) (قاموس الكتاب المقدس) ص/ ٦٢١- ٦٢٢.

أمر أن كل من أراد في ملكي من شعب إسرائيل، وكهنته، واللاويين أن يرجع إلى أورشليم معك فليرجع، من أجل أنك مرسل من قبل الملك ومشيريه السبعة؛ لأجل السؤال عن يهوذا وأورشليم حسب شريعة إلهك التي بيدك، ولحمل فضة، وذهب تبرّع به الملك ومشيروه لإله إسرائيل الذي في أورشليم مسكنه، وكل الفضة والذهب التي تجد في كل بلاد بابل مع تبرعات الشعب والكهنة المتبرعين لبيت إلههم الذي في أورشليم،... أما أنت يا عزرا فحسب حكمة إلهك التي بيدك ضع حكاماً وقضاة يقضون لجميع الشعب الذي في عبر النهر من جميع من يعرف شرائع إلهك، والذين لا يعرفون فعلموهم، وكل من لا يعمل بشريعة إلهك وشريعة الملك فليقض عليه عاجلاً إما بالموت، أو بالنفي، أو بغرامة المال، أو بالحبس"[(١)].

وقد رجع مع عزرا إلى فلسطين جماعة من اليهود، وصحب معهم عدداً من الكهنة للقيام بالواجبات المقدسة في الهيكل، وحمل عزرا معه مالاً، وكنوزًا، ومجوهرات من اليهود الباقين في بابل، ومن البلاط الإمبراطوري نفسه، لتأثيث الهيكل وشراء الزينات له.

كان عودة عزرا الكاهن في عام ٣٩٧ ق. م على أرجح الآراء[(٢)] في حكم أرتحتشستا بعد مضي سبع سنوات من ملكه، ولا نوافق على رأي القائلين: إن عودة عزرا إلى القدس كانت في عهد (أرتحشستا الأول ٤٦٥-٤٢٤ ق.م) والسبب - والله أعلم - أن عزرا في سفره يذكر ملوك الفرس واحداً واحداً فنكر كورش، فأحشويروش، ثم أرتحشستا، ثم داريوس، وما جرى في عهودهم، ويذكر الأحداث التي حصلت في القدس في زمن كل ملك من إعادة إعمار القدس، والهيكل، ثم في الإصحاح السابع يقول: "وبعد هذا في ملك أرتحشستا

---

(١) (سفر عزرا) ٧: ١٢ - ٢٦.

(٢) ذهب بعض المؤرخين إلى أن عودة عزرا تمت في عهد (أرتحشستا الأول) وحينما تبين أن سنوات حكمه تمتد من (٤٦٥- ٤٢٤ق.م) رأوا أن عودته كانت في عام (٤٥٨ ق.م) راجع (تأثر اليهودية بالأديان الوثنية) فتحي الزغبي: ص/ ٢٢٠ - ٢٢٢، ٣٢٤. المدخل إلى الكتاب المقدس: ص / ١٧٠.

ملك فارس عزرا بن سرايا... عزرا هذا صعد من بابل"[١]، ولم يذكر بناء أسوار أورشليم التي تمت في زمن نحميا، وهذا - إن كان السفر صحيحاً في سرد الأحداث - يعني أنه عاد في زمن أرتحشستا الثاني، وليس الأول.

وليس صحيحاً ما جاء في سفر (نحميا) أن عزرا عاد في زمن كورش[٢]، للأمور التالية:

أولاً: لم يرد ذكر عزرا في مَنْ عاد من السبي برفقة زَرُبَّابَل في سفر عزرا.

ثانياً: لو كان عزرا ممن عاد برفقة زَرُبَّابَل لما هاله الأمر حين وجد المجتمع اليهودي (أبناء السبي)[٣] قد تخلى عن عنصريته، وتزوج من غير اليهوديات؛ لأن المجتمع اليهودي مازال حديث الوصول، فكيف يتزوج اليهود بهذه الكثرة.

ثالثاً: الحظوة التي حصل عليها عزرا عند الملك ارتحشستا، يعني: أنه حصل عليها نتيجة مقامه ب-(بابل)، ولو كان في القدس لما حصل على هذه الحظوة عند الملك.

رابعاً: حتى ولو قلنا: إن عزرا عاد في عهد (أرتحششتا الأول ٤٦٥-٤٢٤ ق.م) سنة ٤٥٨ ق.م، مرة ثانية فهذا يعني أنه لم يولد بَعْدُ عند عودة زَرُبَّبل سنة (٥٣٨ ق.م)؛ لأن بين العودتين ثمانين سنة، أو أنه كان مولوداً في تلك الفترة، ولكنه كان صغيراً فيستحيل من ثم أن يقوم طفل رضيع، أو صغير بقراءة التوراة على ملأ من الناس في تلك الفترة كما ذكر سفر نحميا[٤]، وقد مرَّ بنا أن الراجح أنه جاء في عهد (أرتحشستا الثاني ٤٠٤- ٣٥٨ق.م) وعلى هذا يستحيل أن يكون قد ولد، ويظهر أن الأمر التبس على كاتب سفر نحميا، أو ربما كان من ضمن التحريفات التي أدخلت على سفره بعد ذلك.

---

(١) (١ - ٧).
(٢) راجع (نحميا) ١٢: ١.
(٣) بنو السبي كلمتان كثيرتا الورود في الكتاب المقدس، ويقصد بهما المسبيون وأولادهم. راجع (قاموس الكتاب المقدس) ص/ ٤٥٨.
(٤) (نحميا) الإصحاح الثامن.

خامساً: ومما يؤكد ما ذهبنا إليه: أنه في ختام اجتماع عزرا بأبناء السبي ينفصل نسل بني إسرائيل عن الغرباء[١]، فكيف يعقل أن يكون الاجتماع بعد عودة زُربَّابل بسنة، أيعقل بهذه السرعة أن يتخلى المجتمع اليهودي عن عاداته التي اعتادها في زمن السبي !؟ ثم كيف تكاثر النسل خلال سنة !؟ وكثرة الزيجات، وتناسل أبناء السبي يؤكد أن هذا الاجتماع تَمَّ في زمن لاحق تخلى فيه أبناء السبي مع مرور الزمن عن كثير من عاداتهم في فترة السبي، وتزوجوا، وكثر نسلهم، وهذا يحتاج إلى وقت طويل.

سادساً: نحميا عاد بعد عزرا ولا نوافق على قول من قال: إن نحميا عاد إلى القدس في زمن (أرتحششتا الأول)[٢]؛ لأن المطلع على سفر عزرا يجد أن اليهود عند عودتهم مع زَرُبَّابل شرعوا في بناء المذبح، وفي السنة الثانية شرعوا في بناء الهيكل، وفي عهد أرتحششتا أرسل رحوم صاحب القضاء وشمشاي الكاتب وسائر رفاقهما رسالة إلى الملك أن أبناء السبي يحصنون أسوار المدينة، فأمر الملك بوقف العمل، فأوقف العمل بالهيكل حتى عهد الملك داريوس، حيث حصل اليهود منه على قرار بالسماح لهم ببناء بيت الله في القدس[٣].

وهذا يعني أن أسوار القدس لم تبنَ في عهد (أرتحششتا الأول)، والمهمة التي قام بها نحميا كانت بناء أسوار القدس[٤]، وهذا يعني أنه عاد في زمن (أرتحشستا الثاني)، ثم إنه ذكر قصة عزرا وإخراجه التوراة وقراءتها على ملأ من أبناء السبي، وعزرا عاد في عهد أرتحشستا في السنة السابعة من اعتلائه العرش، بينما نحميا عاد بعد اعتلائه العرش بعشرين سنة.

مات عزرا سنة ٣٩٢ قبل الميلاد[٥]، وهذا يعني أنه ولد في بابل.

---

(١) راجع (نحميا) ٩: ٢.
(٢) راجع (تأثر اليهودية بالأديان الوثنية) فتحي الزغبي: ص/ ٢٢١.
(٣) راجع (عزرا) الإصحاح الثالث، الرابع، و الختامس، و السادس.
(٤) راجع (نحميا) الإصحاح الثاني، و الثالث، والرابع و الخامس و السادس.
(٥) يراجع وفاته في (ما بين موسى وعزرا كيف نشأت اليهودية) عبد المجيد همو: ص/ ٢٠١.

المبحث الثالث

مكانة عزرا بين اليهود

تبوأ عزرا الكاهن مكانة مرموقة في بلاط الملك، حتى حاز على ثقته، ونال منه قراراً بالسماح لمن شاء من اليهود بالعودة، وكان القرار يتضمن – أيضاً – تهديداً لمن لم يتهود من بني إسرائيل في فلسطين، وأعطاه الهدايا للهيكل، وكان من البديهي: أن ينال هذا الكاهن بعد عودته إلى القدس مكانة عالية لدى الطائفة؛ لأنه مقرب من ملك الفرس الذين هم من رعاياه، فضلاً أن الملك جعل له مكانة عالية في المجتمع اليهودي، فقد أعطاه صلاحيات واسعة لتعيين القضاة والحكام، والتهديد لمن يخالف ما يعتقد الرجل بالقتل، والنكال، والسجن، ومصادرة الأموال، إضافة أنه جاء ومعه الهدايا للهيكل، وحينما طلب من أبناء السبي أن يحضروا هددهم بأن الذي لا يأتي خلال ثلاثة أيام يُحَرَّم كل ماله، ويفرز من جماعة أهل السبي، وبعد ثلاثة أيام جلس الشعب في ساحة بيت الله مرتعدين من الأمر، ومن الأمطار[١]، بلغ بهم الخوف حتى إنهم كانوا يرتعدون منه لما يملكه من سلطات، كل تلك الأسباب جعل الرجل يضمن ولاء اليهود المعاصرين له، من نبلاء وكهنة، حتى لم يعارضوه في أعماله، والتغيرات التي أحدثها في مجتمع بني إسرائيل في فلسطين، وليس صحيحاً أن المكانة التي تبوأها عزرا تعود إلى شخصيته بقدر ما يعود إلى ما يملك من سلطات، وفي هذا المشهد أفلحت سلطات عزرا ودموعه في تطهير إسرائيل من كل النساء الغريبات وأطفالهن، وبنفيهن من الأرض تلبية لرغبة نزوات عزرا.

وهذا ما جعل اليهود المتأخرين عنه عدة أعصر يعدونه زعيماً لهم، بعد موسى الذي أخرجهم من مصر، ويعدونه أيضاً مؤسس نظم اليهودية المتأخرة، (التي وضعت في القرن الخامس قبل الميلاد) ولقبوه بالكاهن، وبالكاتب؛ لأنه كان دارساً مجتهداً، ومفسراً عميقاً لوصايا الله وعهده لبني إسرائيل[٢].

---

(١) (عزرا) ١٠: ٨.

(٢) راجع (قاموس الكتاب المقدس): ص/ ٦٢١.

ويُعدُّ عزرا بحق مؤسس اليهودية، وهو الذي غير تاريخ اليهود، وحدد على (الجنس المقدس) منذ ذلك الوقت فصاعداً أن يكون في معزل عن البشر[1]، لقد نُصِّب عزرا موسى جديداً، وقائداً على أورشليم جديد[2].

المبحث الرابع
اجتماع عزرا باليهود في أورشليم

من الواضح أن عزرا حين عاد إلى القدس هاله الأمر، فقد غير المجتمع اليهودي (أبناء السبي) كثيراً من عاداته، وقل إن شئت: إن التعصب العنصري خفَّ كثيراً عند أبناء السبي بعد عودتهم من السبي، ولم يعد يعبأ كثيراً لعنصرية الأحبار في السبي، ولم يتقيد بتوجيهاتهم، بل إن بعض الأحبار أنفسهم لم يلتزموا بذلك بدليل أنهم تزوجوا من غير اليهوديات[3]؛ لأن المجتمع اليهودي في السبي كان تحت سيطرة الأحبار، وقد غرسوا فيهم العنصرية، والانغلاق، وقد وجد هذا الأمر قبولاً لديهم نتيجة الظلم الذي وقع عليهم في سبي بابل، لكن الذين عادوا منهم بدؤوا ينفتحون على الآخر بعد أن عاشوا حياة هادئة مستقرة، فتزوجوا من محيطهم.

هال هذا الأمر عزرا، فأمر بإحضار كل أبناء السبي دون غيرهم من بني إسرائيل؛ ليعيدهم إلى دينهم، وقد قام عزرا بمجرد عودته إلى القدس بمسرحية حزينة ومثيرة (مشهد تراجيدي) من أجل لفت أنظار بني إسرائيل إليه، وحتى يتمكن الرجل من بسط سلطته، ويظهر بمظهر الرجل المشفق، الحريص على الملة الموسوية، من أجل إدخال جميع بني إسرائيل إلى هذه النحلة الجديدة،

---

(١) راجع (اليهود و اليهودية في العصور القديمة بين التكوين السياسي وأبدية الشتات) ترجمة وتقديم رشاد الشامي، عن كتاب (السلام والأرض المقدسة، تحليل تاريخي لمشكلة فلسطين) فون باجوت جلوب: ص/ ٢٢، ١٤٠.

(٢) راجع (قتال الأخوة النزعة الإثنية لدى اليهود والسامريين في التاريخ والروايات التوراتية) إنغريد هيلم، مقال ضمن كتاب (القدس أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ) تحرير توماس ت. تومبسون: ص/ ٣١٠.

(٣) راجع (عزرا) ١٠: ١٨.

وليس أبناء السبي فقط؛ ليكون دعماً إضافياً لما يملكه من سلطات، فقام الرجال بالبكاء والعويل على بني جلدته الذين تركوا دين آبائهم، وقام يتضرع إلى الله، وأخذ يمزق ثيابه، حتى أشفقوا عليه، جاء في سفر عزرا: "ولما كملت هذه تقدم إليّ الرؤساء قائلين لم ينفصل شعب إسرائيل، والكهنة، واللاويون من شعوب الأراضي حسب رجاساتهم من الكنعانيين، والحثّيين، والفرزّيين، واليبوسيين، والعمونيين، والموآبيين، والمصريين، والأموريين؛ لأنهم اتخذوا من بناتهم لأنفسهم ولبنيهم، واختلط الزرع المقدس بشعوب الأراضي، وكانت يد الرؤساء والولاة في هذه الخيانة أولاً، فلما سمعت بهذا الأمر مزقت ثيابي وردائي، ونتفت شعر راسي وذقني، وجلست متحيّراً، فاجتمع إليّ كل من ارتعد من كلام إله إسرائيل من أجل خيانة المسبيين،... فلما صلّى عزرا واعترف وهو باك، وسَاقِطٌ أمام بيت الله اجتمع إليه من إسرائيل جماعة كثيرة جداً من الرجال والنساء والأولاد؛ لأن الشعب بكى بكاء عظيماً، وأجاب شكنيا بن يحيئيل من بني عيلام، وقال لعزرا: إننا قد خنّا إلهنا، واتخذنا نساء غريبة من شعوب الأرض، ولكن الآن يوجد رجاء لإسرائيل في هذا، فلنقطع الآن عهداً مع إلهنا أن نخرج كل النساء والذين ولدوا منهنّ حسب مشورة سيدي، والذين يخشون وصية إلهنا، وليعمل حسب الشريعة، قم فإن عليك الأمر، ونحن معك، تشجع وافعل، فقام عزرا واستحلف رؤساء الكهنة واللاويين وكل إسرائيل أن يعملوا حسب هذا الأمر فحلفوا، ثم قام عزرا من أمام بيت الله،... وأطلقوا نداء في يهوذا، وأورشليم إلى جميع بني السبي لكي يجتمعوا إلى أورشليم، وكل من لا يأتي في ثلاثة أيام حسب مشورة الرؤساء والشيوخ يحرّم كل ماله، وهو يفرز من جماعة أهل السبي، فاجتمع كل رجال يهوذا وبنيامين إلى أورشليم في الثلاثة الأيام، أي: في الشهر التاسع في العشرين من الشهر، وجلس جميع الشعب في ساحة بيت الله مرتعدين من الأمر ومن الأمطار، فقام عزرا الكاهن، وقال لهم: إنكم قد خنتم، واتخذتم نساء غريبة لتزيدوا على إثم إسرائيل، فاعترفوا الآن للرب إله آبائكم، واعملوا مرضاته، وانفصلوا عن شعوب الأرض، وعن النساء الغريبة، فأجاب كل الجماعة وقالوا بصوت عظيم: كما كلمتنا كذلك نعمل، إلا أن الشعب كثير، والوقت

وقت أمطار، ولا طاقة لنا على الوقوف في الخارج، والعمل ليس ليوم واحد، أو لاثنين؛ لأننا قد أكثرنا الذنب في هذا الأمر، فليقف رؤساؤنا لكل الجماعة، وكل الذين في مدننا قد اتخذوا نساء غريبة، فليأتوا في أوقات معينة، ومعهم شيوخ مدينة فمدينة، وقضاتها حتى يرتد عنا حمو غضب إلهنا من أجل هذا الأمر، ويوناثان بن عسائيل، ويحزيا بن تقوة - فقط - قاما على هذا، ومشلام وشبتاي اللاوي ساعداهما، وفعل هكذا بنو السبي، وانفصل عزرا الكاهن ورجال رؤوس آباء حسب بيوت آبائهم، وجميعهم بأسمائهم، وجلسوا في اليوم الأول من الشهر العاشر للفحص عن الأمر، وانتهوا من كل الرجال الذين اتخذوا نساء غريبة في اليوم الأول من الشهر الأول"(١).

يمكن أن نستنبط من هذا النص عدة أمور:

أولاً: أن الاجتماع الذي حصل عند عودته لم يظهر لهم النص المقدس كما زعم نحميا هناك، وإنما لامهم على زواجهم من غير اليهود.

ثانياً: تتابع الجلسات.

ثالثاً: طالب أبناء السبي إرجاء الاجتماع؛ لأن هذه المسألة تحتاج إلى وقت "فليقف رؤساؤنا لكل الجماعة، وكل الذين في مدننا قد اتخذوا نساء غريبة فليأتوا في أوقات معينة، ومعهم شيوخ مدينة فمدينة وقضاتها حتى يرتد عنا حمو غضب إلهنا من أجل هذا الأمر".

رابعاً: لم يكن هَمُّ عزرا الأساس إفراد الله بالعبادة، وترك الوثنيات التي أدخلت على شريعة موسى - عليه السلام - وإنما كان تكريس العنصرية في نفس هذا الشعب، واختزل كل الانحرافات التي انغمس فيها في قضية الزواج من غير اليهودية.

خامساً: أما إخراج عزرا التوراة، فالله أعلم أنه كان لاحقاً، بدليل أن عزرا لم يذكر التوراة، والتناقض الواضح بين سفر عزرا وسفر نحميا في التاريخ،

---

(١) (عزرا) ٩: ١ - ١٥، و ١٠: ١ - ١٧.

حيث يشير سفر نحميا إلى أن الاجتماع حدث بعد عودة أبناء السبي من بابل مع زَرُبَّابل في زمن قورش في الشهر السابع[١]، بينما يشير سفر عزرا أن الاجتماع حدث بعد عودته في زمن أرتحشستا في الشهر التاسع، بينما سفر عزرا لا ينكر من أمر التوراة شيئاً، ويشير إلى أن أبناء السبي طلبوا من عزرا إرجاء الاجتماع إلى وقت آخر؛ لأن الشعب كثير، والوقت وقت أمطار، ولا طاقة لهم في الوقوف في الخارج، ليأتي للاجتماع رؤساؤهم[٢]، بينما سفر نحميا يشير إلى أن الشعب هو الذي طلب منه أن يأتي بسفر شريعة موسى فقرأ عليهم[٣]، ومن المنطقي أن يكون ما جاء في سفر نحميا عن الاجتماع هو خاتمة هذه الاجتماعات، الذي تَمَّ فيه قراءة التوراة، وانفصل نسل إسرائيل عن جميع بني الغرباء[٤]؛ لأن السفرين كانا سفراً واحداً، فسفر نحميا أكمل ما بدأه سفر عزرا.

والذي يظهر – والله أعلم – أن الأمر فيه التباس؛ خاصة وأن نحميا عاد بعد عزرا بثلاث عشرة سنة أي: في السنة العشرين من حكم أرتحشستا[٥]، فالتبس عليه الأمر، واكتفى بذكر آخر الاجتماع، وكانت سلسلة الاجتماعات التي ذكرت في سفر عزرا كان ختامها ظهور التوراة، وانفصال اليهود عن غيرهم، فعزرا في سفره ذكر أن هناك اجتماعاً لاحقاً سيحضره كبار اليهود، ولم يذكر هذا الاجتماع، بينما ذكره سفر نحميا الذي كان امتدادًا لسفر عزرا، والذي يظهر أن كاتب سفر نحميا نقل من سفر عزرا حرفيا ثم غيَّر الحادثة، أو ألتبس عليه الأمر ففي سفر عزرا عندما تحدث عن زَرُبَّابل ومن عاد معه، قال في الإصحاح الثالث: "ولما استهل الشهر السابع وبنو إسرائيل في مُدنهم اجتمع الشعب كرجل واحد إلى أورشليم، وقام يشوع بن يوصاداق، وأخوته الكهنة،

---

(١) راجع (نحميا) ٨: ١.
(٢) راجع (عزرا) ١٠: ١– ١٥.
(٣) راجع (نحميا) ٨: ٢.
(٤) راجع (نحميا) ٩: ١– ٣.
(٥) راجع (نحميا) ١: ١.

وزَرُبَّابل بن شالتئيل وإخوته، وبنوا مذبحًا في مكانه"[١]، وانظر معي إلى سفر نحميا حين يذكر قصة زَرُبَّابل ويأتي الإصحاح الثامن: "ولما استهل الشهر السابع وبنو إسرائيل في مُدنهم اجتمع كل الشعب كرجل واحد إلى الساحة التي أمام باب الماء، وقالوا لعزرا الكاتب أن يأتي بسفر شريعة موسى"[٢].

إن "عودة اليهود من بابل تحت قيادة عزرا كانت هذه هي البداية من أجل ما يمكن أن نطلق عليه إسرائيل ما بعد السبي البابلي، حيث ولدت الديانة اليهودية التي صاغها عزرا، والقائمة على الانعزالية الدينية التي تتضمن سلسلة جديدة من التشريعات التي تهدف إلى فصل أولئك الذين اعتنقوا الديانة اليهودية عن بقية البشر"[٣].

---

(١) (١ – ٣).
(٢) (١– ٢).
(٣) (اليهود و اليهودية في العصور القديمة بين التكوين السياسي وأبدية الشتات) ترجمة وتقديم رشاد الشامي، ص / ٩.

الفصل الثاني
كتابة عزرا للتوراة

المبحث الأول
أسباب كتابة عزرا للتوراة

قام عزرا بجهود مضنية ونشاط كبير من أجل إيجاد كيان يهودي عنصري، فأوجد لديهم حِسَّ الانتماء والاستعلاء، ونقاء العرق؛ فهم شعب صغير سيضيع لا محالة بين الشعوب الأكثر منهم عدداً وقوة، فكان التمييز العنصري شرطاً ضرورياً للبقاء، فدعا أول ما دعا أبناء السبي دون غيرهم من بني إسرائيل الذين لم يسبوا؛ لأنهم ما زالوا قريبي العهد بتعليمات الأحبار في بابل، وتَمَّ فرض هذه الديانة عن طريق الترغيب والترهيب، الترغيب كان بتعيين حكام وقضاة من هذا التوجه، أما الترهيب فالعقاب: القتل، والحبس، ومصادرة الأموال لمن لم يدخل في دينه، ويغفل العهد القديم - عن عمدٍ - كيف دانت بنو إسرائيل من غير أبناء السبي باليهودية، وما حجم الضغط الذي مورس على هذه الفئة حتى يدخلوا في الدين الجديد ؟

ولما لقي عزرا الكاهن القبول من أبناء السبي بما يملك من قوة السلطان، كان لا بد من السيطرة على ضمير هذا الشعب فكان أن كتب التوراة، وسن تشريعات باسم يهوه كانت كفيلة للحيلولة دون انصهارهم في بوتقة الشعوب، وكان لا بد لهذه الوثيقة المزورة أن تمجد عرقهم، وتجعلهم فوق البشر.

وكما ذكر الشيخ رحمة الله الهندي: إن التوراة قد ضاعت مرات عدة، فلِمَ كتبت الآن دون غيرها من المرات التي ضاعت ؟!

ففي المرة الأولى فقدها بنو إسرائيل في صراعهم مع الفلسطينيين، حيث أخذوا تابوت الرب، وكان فيه التوراة[١]، وبقيت عندهم سبعة أشهر[٢]، والمرة

---

(١) (صموئيل الأول): ٤/ ١- ١١، ١٥- ٢١.

(٢) (صموئيل الأول): ٦/ ١.

الثانية بعد سليمان – عليه السلام –، ارتد ملوك يهوذا في أورشليم، وأخذوا في عبادة الأصنام، ولما تولى الملك يوشيا كان محباً للملة الموسوية، وهدم رسوم الكفر والشرك، وفي السنة الثامنة عشرة من ملكه أراد أن يرمم بيت الرب، فادعى الكاهن حلقيا أنه وجد نسخة التوراة في بيت الرب، ولما قرئ عليه أَمَرَ الناس بالالتزام بها(١).

يقول رحمة الله الهندي – رحمه الله –: "لا يعتمد على هذه النسخة، ولا على قول حلقيا؛ لأن البيت نهب مرتين قبل عهد أخزيا، ثم جُعل بيت الأصنام، وسدنة الأصنام كانوا يدخلون البيت كل يوم، وما سمع أحد إلى سبعة عشر عاماً من سلطنة يوشيا – أيضاً – اسم التوراة ولا رآها، مع أن السلطان، والأمراء، والرعايا كانوا في غاية الاجتهاد لاتباع الملة الموسوية، وكان الكهنة يدخلون كل يوم إلى هذه المدة، فالعجب كل العجب أن تكون النسخة في البيت ولا يراها أحد؛ فهذه النسخة ما كانت إلا من مخترعات حلقيا، فإنه لما رأى من توجه السلطان والأراكين إلى اتباع الملة الموسوية جمعها من الروايات اللسانية التي وصلت إليه من أفواه الناس، سواء أكانت صادقة أم غير صادقة،... فبعدما جمعها نسبها إلى موسى – عليه السلام –، ومثل هذا الافتراء والكذب لترويج الملة وإشاعة الحق كان من المستحبات الدينية عند متأخري اليهودية، وقدماء المسيحيين"(٢).

أما المرة الثالثة: فقد أحرقها نبوخذت نُصّر، ضاعت التوراة في المرة الأولى، وفي المرة الثانية، ولم نجد من يتصدى لهذه المهمة، أما لماذا دونت التوراة في هذه الفترة، فيرجع الدكتور أحمد سوسة الكتابة لسببين: الأول تمجيد تاريخهم، وجعل أنفسهم صفوة الأقوام البشرية، والشعب المختار الذي اصطفاه الرب من دون الشعوب، أما الثاني فهو جعل فلسطين موطنهم الأصلي، على الرغم من تأكيد التوراة ذاتها أن فلسطين هي أرض غريبة بالنسبة

---

(١) (الملوك الثاني) ٢٢/ ٨ – ١٨.

(٢) (إظهار الحق) رحمة الله الهندي: ٢/ ٦٠٤–٦٠٥.

لإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب[١]، وإلى مثل ذلك أشار الدكتور سعدون الساموك[٢]، لقد حرص عزرا على أن ينشئ كياناً يهودياً، فحاول أن يمسح من جباه اليهود ذُلَّ العبودية، وهم أمة مستضعفة في الأرض، مضطهدة، معزولة، محتقرة، منهزمة نفسياً أمام شعوب أكثر عدداً وعدة، ومتقدمة حضارياً، فكان بحاجة إلى تعبئة روحية عالية، فنفخ في روعهم هذا الاستعلاء العنصري.

إذاً كان الهدف الأساس - والله أعلم - هو تكريس العنصرية الممقوتة، ورفض الآخر لدى اليهود، والتركيز على السلالة، وأنها تحتل مكاناً بارزاً في العالم، وستكون المحور الذي ستدور عليه حياة اليهود، هذه الظاهرة التاريخية الخطيرة هي التي شكلت حياة اليهود، وعلاقتهم فيما بعد بالناس.

وهذا ما ستؤكده التوراة المحرفة في مضمونها، وتدعو إليها للمحافظة على الجنس، وستصبغ الفكر اليهودي وفق هذا الرؤيا، يقول ول ديورانت: "وشرع يقرأ عليهم من مطلع النهار إلى منتصفه (سفر شريعة موسى)، وظل هو وزملاؤه اللاويين سبعة أيام كاملة يقرؤون عليهم ما تحتويه ملفات هذا السفر، ولما فرغوا من قراءتها أقسم الكهنة، والزعماء، والشعب على أن يطيعوا هذه الشرائع، ويتخذوها دستوراً لهم يتبعونه، ومبادئ خلقية يسيرون على هديها ويطيعونها إلى الأبد[٣]، وظلت هذه الشرائع منذ تلك الأيام النكدة إلى يومنا هذا المحور الذي تدور عليه حياة اليهود، ولا يزال تقيّدهم بها طوال تجوالهم، ومحنهم من أهم الظواهر في تاريخ العالم، ترى ماذا كان كتاب (شريعة موسى هذا) ؟.

لم يكن هذا الكتاب هو بعينه، كتاب العهد الذي قرأه يوشيا من قبل؛ لأن هذا العهد قد جاء فيه بصريح العبارة أنه قرئ على اليهود مرتين كاملتين في يوم واحد، على حين أن قراءة الكتاب الآخر قد احتاجت إلى أسبوع كامل"[٤].

---

(١) (العرب و اليهود في التاريخ) ١/ ٢٩.
(٢) (مقارنة الأديان): ص/ ٢٤ - ٢٥.
(٣) راجع (عزرا) ٨: ١٨.
(٤) (قصة الحضارة) ول ديورانت: ٢/ ٣٦٦.

شرع عزرا في كتابة التوراة لهم من حفظه، وبقايا ما حفظه أحبارهم بعد السبي، وأضاف إليها ما علق بذهنهم من تاريخهم (المرويات الشفوية) – وأظن أن هذا الأمر كان ضرورياً حتى يسهل عليه مهمة إدخال بني إسرائيل من غير أبناء السبي إلى اليهودية؛ ليقنعهم أن هذه هي توراة موسى – عليه السلام – وأدخل فيها ما شاء له أنه يدخله من ثقافته، واختار من قصص الشعوب ما يمجد شعبه، ولكن هذه التوراة بطبعتها الجديدة كانت غريبة كل الغرابة عن توراة موسى !؟. يقول الإمام المهتدي السموأل بن يحيى المغربي(٥٧٠هـ): "فلما رأى عزرا أن القوم أحرق هيكلهم، وزالت دولتهم، وتفرق جمعهم، ورفع كتابهم، جمع من محفوظاته، ومن الفصول التي يحفظها الكهنة، ما لفق منه هذه التوراة التي بأيديهم الآن، ولذلك بالغوا في تعظيم عزرا هذا غاية المبالغة... فهذه التوراة التي بأيديهم – على الحقيقة – (كتاب عزرا) وليس كتاب الله!!"[(١)].

وقد أصاب كبد الحقيقة العالمان التوراتيان الأمريكيان (جُون فأن سيترز)، و(تُوماس طُومسون) حيث قالا: "إن اختيار القصص وترتيبها كان تعبيراً عن رسالة واضحة أراد مُحررو التوراة أن يُوصلوها عندما قاموا بجمعها، وتدوينها، أكثر من كونه مُحافظة منهم على روايات تاريخية موثوقة"[(٢)].

إذاً فالتوراة هي في صلبها تشكلت من واقع تدوينات متعاقبة لأصول من مورثات شفوية قديمة، ومجموعات من القصص التي تألفت من الحكايات الشعبية، والأساطير، والملاحم، تناقلتها ذاكرة بني إسرائيل جيلاً إثر جيل، دون أن يكون لديهم ضابط في النقل، وزاد فيها خيالهم ما شاء لهم أن يدخلوها، حتى غدت تلك القصص أقرب إلى الأسطورة منها إلى الواقع، فهي تنتمي إلى عالم الخيال أكثر مما تنتمي إلى عالم الواقع والتاريخ، ويدرك ذلك كل من تصفح التوراة، ولذلك فإن الانطباع العام الأول الذي يبقى في نفس القارئ

---

(١) (إفحام اليهود): ص / ١٣٩ – ١٤٠.

(٢) (التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها) إسرائيل فنكلشتاين، ونيل أشر سيلبرمان: ص/ ٦٦.

للتوراة ككتاب تاريخ – كما يقول صبري جرجس – أنها لا تكاد تزيد عن كونها مجموعة من الخرافات، والقصص التي صيغت في جو أسطوري، حافل بالإثارة، مجاف للعقل والمنطق، غاص بالمتناقضات، مشبع بالسخف، مفعم بمشاعر العدوان، والتعطش إلى الدماء[1].

ومن جهة أخرى نجد أن التوراة الحقيقية لم تكن بهذا الحجم الكبير الذي أخرجه عزرا، إذ التوراة الجديدة تتحدث عن نشأة الكون والإنسانية، وعن تاريخهم بالتفصيل وحتى عن أعدادهم، ومواشيهم، بينما كانت التوراة الأصلية مكتوبة على ألواح على المذبح، لدرجة أنها كانت تقرأ في مجلس واحد وتفهم، وأشارت التوراة الحالية إلى أن موسى كتبها على ألواح في المذبح، "وتبني هناك مذبحاً للرب إلهك، مذبحاً حجارة لا ترفع عليها حديداً، من حجارة صحيحة تبني مذبح الرب إلهك، وتصعد عليه محرقات للرب إلهك، وتذبح ذبائح سلامةٍ، وتأكل هناك، وتُفرح الرب إلهك، وتكتب على الحجارة جميع كلمات هذا الناموس نقشاً جيداً"[2]، وبوضوح تام على حافة مذبح واحد، وجاء نحو ذلك في سفر يوشع[3]، وفي عهد سليمان – عليه السلام – أدخل التابوت إلى الهيكل عند بنائه وفيه التوراة، "ولم يكن في التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك في حوريب حين عاهد الرب بني إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر"[4]، ولكن نفاجأ أن النسخة الجديدة من تأليف عزرا احتاجت إلى سبعة أيام للانتهاء من قراءتها، مع أن النسخة التي وجدت في الهيكل في زمن يوشيا قرئت مرتين في يوم واحد.

يرى سبينوزا أن سفر توراة موسى الذي كتبه موسى كان صغيراً جداً؛ لأن واضع التوراة الحالية ذكر أن موسى أعطاه الأحبار، ثم طلب قراءته أمام الشعب في أوقات معلومة، وهذا يدل على أنه كان أقل حجماً بكثير من الأسفار الخمسة،

---

(١) (تأثر اليهودية بالأديان الوثنية) فتحي الزغبي: ص/ ٤٣٤، نقلا عن (التراث اليهودي الصهيوني): ص/ ٥١.
(٢) (سفر التثنية) ٢٧ / ٥– ٨.
(٣) (يوشع) ٨: ٣٠– ٣٣.
(٤) (الملوك الأول) ٨: ٩.

إذ كان من الممكن قراءته كله في مجمع عام، بحيث يفهمه الجميع، ومعنى ذلك: أن التوراة الأصلية ليست هذه الأسفار الحالية[(١)]، كل ذلك يؤكد أن التوراة لم تكن بهذا الحجم، بل أقل بكثير من الأسفار الخمسة التي بلغت عدد صفحاتها (٣٣٧) صفحة بالحجم العادي، هل يعقل بعد ذلك أن تكتب هذه الصفحات على لوحين.

ثم إن التوجيهات التي تحتاجها قبيلة من القبائل القديمة لتنظيم شؤونها لا تحتاج إلى كتاب كبير، بل إلى بعض الوصايا؛ لأن متطلبات الحياة لديهم قليلة؛ ويحتاجون إلى بعض الوصايا حتى ينظموا حياتهم وفق ذلك، لا إلى تلك القصص، والمغامرات، والبطولات، والإحصاءات.

ومن هنا يرى ول ديورانت أن أساطير الجزيرة هي المعين الغزير الذي أخذت منه قصص الخلق، والغواية، والطوفان[(٢)].

ويرى سبينوزا أن الأدلة تمنع أن يكون موسى هو كاتب التوراة الحالية، والعقل يكذب نسبتها إلى موسى – عليه السلام –[(٣)]، ويرجح أن يكون عزرا هو كاتبها[(٤)]، و"أن كلام الله مزيف، ومنقوص، ومُحَرَّفٌ، وأننا لا نملك منه إلا شذرات، وأن الميثاق الذي يشهد بعقد الله عهداً مع اليهود قد فُقِدَ"[(٥)]، و "يعترف العالم اليهودي سيلفر بأن التوراة الحالية لا تُمثِّل توراة موسى الأصلية في أية ناحية، وحتى الوصايا العشر التي يكاد العلماء يجمعون أنها الشيء الوحيد المتبقي من التوراة الأصلية لم تكن في شكلها ومضمونها الحاليين كتلك التي أتي بها موسى، ويقول العالم الألماني الدكتور (مورتكارت): لا يمكن الاعتماد من الناحية العملية على أساطير التوراة إذ برهنت الأبحاث الأثرية على عدم صحة تلك الأساطير التي وردت فيها، كما توجد أبحاث تبرهن

---

(١) راجع (رسالة في اللاهوت والسياسة) سبينوزا: ص/ ٢٧٣.
(٢) راجع (قصة الحضارة) ول ديورانت: ٢/ ٣٦٨.
(٣) راجع (رسالة في اللاهوت و السياسة) سبينوزا: ص/ ٢٧٣.
(٤) راجع (رسالة في اللاهوت و السياسة) سبينوزا: ص/٢٧٧– ٢٨٣.
(٥) (رسالة في اللاهوت والسياسة) سبينوزا: ص/ ٣٣٧.

على عكس تلك الأساطير"[1]، ويقول فولتير[2]: "كيف السبيل إلى الاعتقاد بأن كل ما تقصه التوراة هو من وحي إلهي؟ فإذا كان الله هو الذي أملى هذه التوراة حق لنا أن نتعجب: هل الله ذو أفكار خاطئة في علم الفلك، كما أنه يجهل علم تاريخ الحوادث، ويجهل الجغرافيا جهلاً تاماً"[3].

يتفق الباحثون عموماً على أن التوراة الحالية تمثل الديانة اليهودية، وهي مقتبسة من مصادر مختلفة، فتعتمد على الثقافة الكنعانية، والمصرية، والبابلية بالدرجة الأولى[4].

والمحققون من علماء المسلمين يذهبون إلى أن الذي كتب التوراة هو عزرا من محفوظاته وأضاف لما كتب ما شاء من التراث الشفوي، وثقافته الخاصة، من أمثال ابن حزم[5]، وابن القيم في كتابه (هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى)[6].

"وأصبح من الأمور البدهية لدى العلماء والمؤرخين أن البابليين كان لهم أثر كبير على الديانة اليهودية في أثناء السبي البابلي"[7]، بل تجد حتى أثر المجوسية في اليهودية، ومن ذلك: "إذا مات إنسان في خيمة فكل من دخل الخيمة، وكل من كان في الخيمة يكون نجساً سبعة أيام، وكل إناء مفتوح ليس عليه سداد بعصابة فإنه نجس، وكل من مَسَّ على وجه الصحراء قتيلاً بالسيف، أو عظم إنسان، أو قبراً يكون نجساً سبعة أيام"[8]، ثم شرح بعد ذلك عملية التطهير، وعقوبة من لم يتطهر القتل، وهذا مثل ما عند المجوس.

---

(١) (ما بين موسى وعزرا كيف نشأت اليهودية) عبد المجيد همو: ص/٦٦.

(٢) فولتير كاتب ومفكر فرنسي شهير (١٦٩٤ – ١٧٧٨م) راجع (موسوعة الفلسفة) عبد الرحمن بدوي: ٢/ ٢٠١ – ٢٠٣.

(٣) (الأصوليون اليهود) منى إلياس: ص/ ٧٣.

(٤) راجع (ما بين موسى وعزرا كيف نشأت اليهودية) عبد المجيد همو: ص/ ٧٤. نقلا عن (العرب و اليهود في التاريخ) أحمد سوسة: ١/ ٢٥٩.

(٥) راجع (الفصل في الملل و النحل): ١/ ١٨٨.

(٦) راجع (هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى) ابن قيم الجوزية: ص/ ١٠٨.

(٧) (تأثر اليهودية بالأديان الوثنية) فتحي الزغبي: ص/ ٢٧٠. نقلا عن (تراث العالم القديم) دي بورج:١/ ٤٤.

(٨) (عدد) ١٩: ١٤ – ١٦.

ومن ذلك أيضاً: القرابين التي يقدمها اليهود للشيطان في يوم عاشوراء، كما يقول عبد الحق الإسلامي الحبر المهتدي، "يقدمون عنزين أحدهما لله، والآخر (لعزازيل) وهو الشيطان"[١]، جاء في الإصحاح السادس عشر: "ويأخذ التيسين، ويوقفهما أمام الرب لدى باب خيمة الاجتماع، ويلقي هرون على التيسين قرعتين، قرعة للرب، وقرعة لعزازيل، ويُقرِّب هرون التيس الذي خرجت عليه القرعة للرب، ويعمله ذبيحة خطية، وأما التيس الذي خرجت عليه القرعة لعزازيل فيوقف حياً أمام الرب ليُكفر عنه ليرسله إلى عزازيل إلى البرية"[٢]، وهذه فكرة أعني عبادة الشيطان اتقاءً لشره مجوسية، وقد تأثر اليهود بالمجوسية فترة بقائهم في بابل.

المبحث الثاني
كتابة التوراة في فترة زمنية وجيزة

يرى كثير من الباحثين أن التوراة كتبت إبان السبي البابلي، يقول الدكتور آرثر روبن[٣]: "إن علماء الكتاب المقدس كلهم مجمعون على أن العهد القديم جرى وضعه خلال وبعد النفي إلى بابل"[٤]، وأجد أن هذا الرأي مجانب للحقيقة للأسباب التالية:

أولاً: لم تكن هنالك حاجة للتوراة في السبي؛ لأن المجتمع اليهودي كان

---

(١) (الحسام الممدود في الرد على اليهود) عبد الحق الإسلامي المغربي: ص/ ١٦٦.

(٢) (لاويين) ١٦: ٧ – ١٠.

(٣) آرثر روبن أستاذ علم الاجتماع بالجامعة العبرية بالقدس راجع (الإسلام في مواجهة الاستشراق) عبد العظيم المطعني: ص/ ٧٤.

(٤) (الإسلام في مواجهة الاستشراق) عبد العظيم المطعني: ص/ ٧٤، وراجع (أبحاث في اليهودية و الصهيونية) أحمد سوسة: ص/٣١، و (اليهود و اليهودية في العصور القديمة بين التكوين السياسي وأبدية الشتات) ترجمة وتقديم رشاد الشامي، عن كتاب (السلام والأرض المقدسة تحليل تاريخي لمشكلة فلسطين) فون باجوت جلوب: ص/ ١٣٧، و(أوهام التاريخ اليهودي) جودت السعيد: ص/ ١٨١، و(بنوإسرائيل الشعب الذي كان مختاراً) عبد العزيز عامر: ص/ ٧٩.

ملتفاً حول تعاليم الأحبار، والحاجة ظهرت في فلسطين بعد السبي؛ ليحافظ المجتمع اليهودي على عنصريته، ومنعه من الاختلاط بالشعوب المختلفة[١].

ثانياً: ليس هناك دليل على أن التوراة كانت مكتوبة لديهم في بابل، وإلا لكانت موجودة عند أبناء السبي عند عودتهم من بابل مع زُرُبَّابل، ولم يكونوا بحاجة إلى عزرا حتى يظهرها بعد هذه المدة، بل الأولى أن يعود بها من عاد من أبناء السبي، ولو كانت التوراة مكتوبة في بابل لكان النبيان حجي وزكريا[٢] أحق من عزرا أن يعودا بها إلى القدس، فقد سبقاه في العودة، وهما نبيان، وعدم ظهورها دليل على أنها لم تكتب في فترة السبي.

ثالثاً: أن الاجتماع الذي حصل عند عودته لم يظهر لهم النص المقدس كما زعم نحميا، وإنما لامهم على زواجهم من غير اليهود.

رابعاً: ظهرت التوراة في الجلسات التالية، ولما كان الرجل على عجلة من أمره قام بكتابة التوراة على عجل.

سارع عزرا إلى كتابة التوراة على عجل، وفي فترة زمنية وجيزة، وهذا ما أدى إلى أن يكون العمل ركيكاً، وملمح التزوير والاختلاف واضحاً بيِّناً، وغير متقن، فكاتب التوراة مولع بنكر الأزمان، والأوقات، والأنساب بدقة متناهية، ويحرص على أن لا يفوت على قارئه من هذا الأمر لا شاردة، ولا واردة، ولكن السرعة في إنجاز التوراة جعل الكاتب يقع في أغلاط مفضوحة مكنوبة، ويستغرب الإنسان كيف انطلى على الجماهير الغفيرة من اليهود والنصارى هذا الأمر الواضح البيِّن أحقاباً طويلة!، وهذا ما حدا بإسماعيل الفاروقي إلى القول:

---

(١) نكر الشيخ رحمة الله الهندي: "قال الدكتور سكندر كيس الذي هو من فضلاء المسيحية المعتمدين في ديباجة البيبل الجديد: ثبت لي بظهور الأدلة الخفية ثلاثة أمور: الأول: أن التوراة الموجودة ليست من تصنيف موسى، والثاني: أنها كتبت في كنعان، أو أورشليم.. والثالث: لا يثبت تأليفها قبل سلطان داود" (إظهار الحق) ١/ ١١٦-١١٧.

(٢) راجع (عزرا) الإصحاح الخامس.

"إن عدم إتقان عملية التحريف من قبل عزرا هو الذي جعل العلماء يكشفونه"[1]، بينما سبينوزا يرجع ذلك إلى الموت المبكر لعزرا: "وأنه لم يفعل أكثر من أنه جمع روايات موجودة عند كتاب متعددين، وفي بعض الأحيان كان يقتصر على نسخها ونقلها على هذا النحو إلى الخلف دون فحصها أو ترتيبها، ولا أستطيع أن أخمن الأسباب التي منعته من إتمام عمله هذا، بحيث يوليه كل عنايته إلا إذا كان موتا مبكراً"[2]، ولعل سرعة كتابة عزرا للتوراة، وكونه لم يعمر طويلا - بعد ذلك - جعل التوراة المحرفة تنخر بالتناقضات، والأمور اللامعقولة، والأخطاء، ولعلنا نشير إلى نماذج من هذا التناقض الفاضح، والواضح:

جاء في (سفر الخروج) أن جميع مواشي المصريين ماتت، ولم تمت مواشي إسرائيل[3]، وجاء في السفر نفسه أن بعض المصريين هربوا بعبيدهم، ومواشيهم إلى البيوت[4]، وجاء في التوراة أن إقامة بني إسرائيل في مصر استمرت ٤٣٠ سنة[5]، وفي نص آخر استمرت ٤٠٠ سنة[6]، جاء في (سفر التكوين): "وكان الطوفان أربعين يوماً على الأرض"[7]، لكن يعود في نفس الإصحاح فيناقض نفسه، فيقول: "وتعاظمت المياه على الأرض مائة وخمسين يوماً"[8]، وجاء في سفر التكوين، أن الله قد غضب على النوع الإنساني، فجعل أعمار أفراده لا تتجاوز (١٢٠ سنة)[9]، ثم جاء بعد ذلك أن سام بن نوح عاش

---

(١) (تأثر اليهودية بالأديان الوثنية) فتحي الزغبي: ص/٣٥٦ نقلا عن (أصول الصهيونية في الدين اليهودي) إسماعيل الفاروقي: ص/ ٢، ٩٥، ٩٨.
(٢) (رسالة في اللاهوت والسياسة) سبينوزا: ص/ ٢٨٣.
(٣) راجع (٩: ٥- ٦).
(٤) راجع (الخروج) ٩: ٢١
(٥) راجع (الخروج) ١٢: ٤٠.
(٦) راجع (التكوين) ١٥: ١٣.
(٧) الإصحاح ٧: ١٧.
(٨) الإصحاح ٧: ٢٤.
(٩) راجع (التكوين) ٦: ٣.

(٦٠٠ سنة)، وأرفكشاد بن سام عاش (٤٣٨ سنة)، وشالح بن أرفكشاد عاش (٤٣٣ سنة)، وعابر بن شالح عاش (٤٦٤ سنة)، وفالج بن عامر عاش (٢٣٩ سنة)، ورعو بن فالج عاش (٢٣٩ سنة)، وسروج بن رعو عاش (٢٣٠ سنة)، وناحو بن سروج عاش (١٤٨ سنة)، وتارح بن ناحور عاش (٢٥٠ سنة)[١] وصدق الله في بيان أن القرآن من عند الله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢].

---

(١) راجع (التكوين) ١١.

الفصل الثالث
العقائد التي كرَّسها عزرا
في التوراة المحرفة

ركز عزرا في التوراة المحرفة على أمور تخدم رؤاه، وما يبغي الوصول إليه، فكرس في ذاكرة هذا الشعب، أنهم شعب الله المختار، ومن ثم فهم عرق نقي لم يخالط بعنصر آخر، والتاريخ يشهد لهذا الشعب بأمجاد عريقة، وإلههم يهوه أعطاهم فلسطين بوثيقة لا تقبل النقاش، ونسجت خيوط المؤامرة على هذا النحو:

المبحث الأول
اليهود شعب الله المختار

يهوه إله اليهود:

لعل من أعظم التحريفات التي أدخلت على التوراة، وأخطرها هي التي ارتبطت بالعقيدة، والمتصفح للتوراة يجد أن عقيدة الألوهية غير واضحة، والسبب وراء هذا القول الأوصاف التي وردت في التوراة عن الله سبحانه وتعالى من تجسيم، ووصف الله سبحانه وتعالى بصفات النقص تعالى الله عن ذلك، فعزرا من مواليد بابل، وهو الذي تثقف بثقافة وثنية بابلية، والإنسان وليد بيئته، فعندما كتب التوراة من جديد كتبها مما بقي من المرويات الشفوية، ولكن وفق رُآه، وثقافته، وزاد فيها من ثقافته ما شاء له أن يزيد، ولم يدخر جهداً في الاستيلاء على أساطير الشعوب ونسبها لقومه، يقول السموأل بن يحيى معلقاً على سبب هذا التجسيم في أسفار العهد القديم: "وهذا يدل على أنه أعني الذي جمع هذه الفصول التي بأيديهم رجل فارغ جاهل بالصفات الإلهية؛ فلذلك نسب إلى الله تعالى صفات التجسيم، والندامة على ما مضى من أفعاله، والإقلاع عن مثلها، وغير ذلك"[1].

---

(١) (إفحام اليهود) ص / ١٤١.

لقد حفلت اليهودية بالتصورات الوثنية، وباللوثة القومية على السواء، ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال العهد القديم، وأصبح ذلك محط اتفاق المحققين، وسنشير في هذه العجالة إلى تصور اليهود عن الذات الإلهية:

١ - صفات (يهوه) هي صفات آلهة الوثنيين: اتخذ اليهود من يهوه إلههم القومي الأوحد، واقتبسوا من آلهة الوثنيين صفاته، فجعلوا منه إلهاً صارماً، ذا نزعة حربية، صعب المراس، متعصب، بطاش، ثم ألحقوا به الجهل، والغفلة، والضعف، وضحالة التفكير، وسذاجة الطفولة، وهو إله خاص بهم يغضب لهم، ويأمر بقتل أعدائهم دون رحمة، فهو إله غيور، ويسيرون خلفه في صحراء سيناء، وكان على هيئة عامود من نور[١]، ويحزن[٢]، ويأمر بني إسرائيل أن يسرقوا حلي المصريين[٣]، مثله مثل إله آشور، وبابل، لا علاقة له بالله تعالى، وهو يندم[٤]، وهو لا يعلم ما سيكون عليه العالم من حسن إلا بعد أن يُجَرِّب[٥]، وهو إله العبرانيين[٦].

ويهوه إله اليهود صورة عن أخلاق الشعب اليهودي بكل ما يحمل هذا الشعب من تناقضات، وشذوذ، فهو إله متعصب لشعبه، يتلذذ بإبادة الشعوب الأخرى[٧] حتى الأطفال والحيوانات[٨].

٢ - افتأت عزرا من الأكاذيب والخرافات ما جسم الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً -، فاليهود من ثم قوم مجسمون، يشبهون الله بخلقه، جاء في

---

(١) (الخروج) ١٣: ٢٠ -٢١.
(٢) (تكوين): ٦: ٥-٦
(٣) (الخروج) ٣: ٢٢، و ١٢: ٣٥-٣٦.
(٤) راجع (سفر الخروج) ٣٢: ١٤. و (سفر صاموئيل الأول) ٣٥: ١٥. و(سفر القضاة) ٢/ ١٨. و (إرميا) ٢٦: ١٣. وفي مواضع كثيرة من العهد القديم.
(٥) راجع (سفر التكوين) ١/ ٣١.
(٦) راجع (الخروج) ٧: ١٦.
(٧) (تثنية) ٧: ١ - ٢، ٢١ - ٢٤، و (يوشع) ٦: ١٧ - ٢١.
(٨) (صموئيل الأول) ١٥:١- ٣، ١٠ - ٢٣.

التوراة: "وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا... فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى"[١]، "وقال الرب الإله: هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا"[٢]، وهو سبحانه وتعالى، ينزل من السحاب[٣]، ويمشي[٤]، ويرى بالعين المجردة في الدنيا[٥]، ويتعب ويستريح[٦]، ينسى ويتذكر[٧]، يصارع ويُهْزم[٨].

٣ – هوت أسفار التوراة المحرفة باليهود إلى مهاوي الشرك، وتعدد الآلهة؛ لأنها تُقر بتعدد الآلهة: "يا سيدُ، الرب أنت، قد ابتدأت تُري عبدك عظمتك، ويدك الشديدة، فإنه أيُّ إله في السماء وعلى الأرض يعمل كأعمالك وكجبروتك"[٩]؟ "لأن الرب إلهكم هو إله الآلهة، ورب الأرباب، الإله العظيم، الجبار، المهيب، الذي لا يأخذ بالوجوه، ولا يقبل الرشوة"[١٠]، ولو بدأنا نستقصي مظاهر التجسيم والفكر الوثني في توراتهم لتطلب ذلك منا سفراً كبيراً.

ويظهر بجلاء لمن تأمل أسفار التوراة أن عقيدة الألوهية مضطربة في عقول اليهود، فقالوا: بتجسيم الله سبحانه وتعالى، ووصفوه بكثير من الصفات التي لا تليق به عز وجل، وهذا ما حمل الباحثين على القول: أن فكرة التوحيد

---

(١) (التكوين) ١: ٢٦ – ٢٧.
(٢) (التكوين) ٣: ٢٣.
(٣) راجع (الخروج) ٣٤: ٥.
(٤) راجع (التكوين) ٣/ ٨ –٩.
(٥) راجع (تكوين) ١٨: ١٦، و ٣٣: ١٠، و(الخروج) ٢٤: ٩.
(٦) راجع (التكوين) ٢: ٢.
(٧) راجع (الخروج) ٢: ٢٤.
(٨) راجع (التكوين) ٣٢: ٢٦ – ٢٧.
(٩) (التثنية): ٣: ٢٤.
(١٠) (تثنية) ١٠: ١٧. وراجع (تثنية) ١١: ١٦، (خروج) ١٨: ١١، و(يشوع) ٢٢: ٢٢. و(أخبار الأيام الأول) ١٦: ٢٥. و(أخبار الأيام الثاني) ٢: ٥. و(مزمور) ٥٠: ١. / ٧٧: ١٣، ٨٢: ١/ ٨٦:٨ / ٩٥: ٣ / ٩٦: ٧، ٩ / ١٣٥: ٥ / ١٣٦:٢– ٣ / ١٣٨: ١، (صفينا) ٢: ١١.

تطورت على يد أنبياء لاحقين؛ نتيجة اطلاعهم على الديانات المحيطة، وأن اليهودية ديانة تتغير دائماً[١].

ويعود ذلك إلى أن عزرا كتب التوراة من وجهة نظره، وانطلق من ثقافة اليهود في عصره، وما تأثروا به من وثنية؛ لأن الإنسان وليد بيئته، وثقافة شعبه، فكانت البيئة والثقافة وثنية، والرجل كما سيأتي جعل للأحبار السلطة في التنقيح والإضافة في الدين، ولما جاء الأنبياء اللاحقون ما فتئوا يُذكِّرونهم بالله عز وجل، ولذلك لما جُمِعت أسفارهم بعد ذلك وجدنا فيها ملامح التوحيد، مثل قولهم: إن الله إله كل الأرض[٢]، وليس له مثيل[٣]، ولا يتعب[٤].

"إن اليهودية لم تكن موجودة قبل عهد السبي، وفي السبي بدأ تحول قسم من بني إسرائيل إلى عبادة يهوه، هذا الإله الذي استمدوا اسمه من الفرس"[٥]، يقول سهيل ديب: "لم يكن يهوه قبل حزقيال سوى إله آخر من الآلهة القبلية السامية، لا يختلف عنها بشيء، مثله مثل بعل، مودوخ، وقد أتى حزقيال فأضفى عليه صفات من الألوهية لم تكن موجودة فيه، وكون الديانة اليهودية ثبتت بشكل نهائي في بابل جعل من البدهي أن تتأثر بالديانات والمعتقدات التي كانت مسيطرة هناك في ذلك الزمان.

يقول أحد المراجع اليهودية الصحيحة في هذا الموضوع: إن تفهم الديانة

---

(١) راجع (التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي) توماس ل. طومسون: ص/ ٩، ١٨، ٨٦، و(الأسفار المقدسة) علي عبد الواحد وافي: ص/ ٢٧، ٣٠ ٣٢. و (أوهام التاريخ اليهودي) جودت السعيد: ص/ ١٧٩، و (مقارنة الأديان) سعدون الساموك: ص/ ١١٢، و (بابل والكتاب المقدس) جان بوتيرو: ص/ ٢٢٧ – ٢٢٩.

(٢) (سفر أشعيا) ٥٤ / ٥، و(تاريخ الديانة اليهودية) محمد خليفة أحمد: ص/ ٦٥ – ٦٧، ١٦٦– ١٦٩. ولعل من أهم أسباب التغيير في الديانة اليهودية فقدان التوراة، ثم احتلالهم من قبل شعوب مختلفة.

(٣) راجع (إشعيا) ٤٠: ١٨، و ٤٦: ٩، و (المزامير) ٨٩: ٦.

(٤) راجع (إشعيا) ٤٠: ٢٨.

(٥) (ما بين موسى وعزرا كيف نشأت اليهودية) عبد المجيد همو: ص/ ١٩٥.

العبرية مستحيل، ما لم تؤخذ بعين الاعتبار – وبشكل مستمر – الديانات والثقافات الأخرى التي نمت، وترعرعت في وادي الفرات"[١].

ولسنا – هنا – بصدد معرفة اشتقاق اسم يهوه، وهل هو إله كنعاني؟ أو مديني؟ أو قتباني؟ أو لا يعرف له اشتقاق[٢]؟ بل الذي يهمنا أن يهوه بهذه الصفات هو إله قومي لبني إسرائيل، وهذا الإله الذي أوجدوه في الأسر البابلي لم يكن سوى صورة عن أحبارهم، صورة من التزمت، والعنصرية، وحب سفك الدماء، والشذوذ في كل شيء، ولو جمع أخس وأحط الصفات في شخص لما جسد هذا الانحطاط الذي وصف به يهوه، يقول جورج عبد المسيح:" لنكن منطقيين، لو جمعنا أحقر الصفات وأخسِّها في شخص واحد لما جسدنا عُشر أعشار الانحطاط المتجسد في يهوه، فكيف نُعْلِنه إلهاً؟ وكيف نعتبره رديفاً لآلهتنا نحن؟ كيف يجوز القول: إن يهوه الله؟!.. ومن الخطأ علمياً القول إن الإيمان بوحدانية الله دخل التاريخ البشرية بواسطة الشعب الإسرائيلي"[٣].

والأمر لا يحتاج إلى كثير حصافة حتى ندرك أن يهوه وليد عقلية الأحبار في السبي، مضاهاة لآلهة الوثنيين، فالتوراة تذكر أن إبراهيم، وإسحاق، وإسماعيل، ويعقوب – عليهم السلام –، آمنوا بالإله، ويظهر ذلك بجلاء في أسماء الأشخاص، والأماكن، فـ– (إيل) يعني الإله، ومن ثم نسبت الأسماء إليه.

فمن الأسماء: مهللئيل (مهلل+إيل)، وإسرائيل (إسراء+إيل)، وإسماعيل (اسماع+إيل).

---

(١) (التوراة تاريخها وغاياتها) سهيل ديب: ص / ٢٧. وراجع (ما بين موسى وعزرا كيف نشأت اليهودية) عبد المجيد همو: ص/٢٠١ –٢٠٢.

(٢) راجع (ما بين موسى وعزرا كيف نشأت اليهودية) عبد المجيد همو: ص/ ٢٣٥– ٢٣٦، و(اليهود و اليهودية في العصور القديمة بين التكوين السياسي وأبدية الشتات) ترجمة وتقديم رشاد الشامي عن (كتاب السلام في الأرض المقدسة تحليل تاريخي لمشكلة فلسطين) فون باجوت جلوب: ص/ ٧٢– ٧٣، و(أوهام التاريخ اليهودي) جودت السعيد: ص / ١٤٥، ١٤٧.

(٣) (فكرنا الديني) عبد المسيح جورج متري: ص/ ٦٦. (اليهودية بعد عزرا وكيف أقرت): ص/ ١٢٣.

الأماكن: إيل رئي (رؤي+ إيل)، بيت إيل (بيت+إيل)، بابل (باب+ إيل)، إلى غير ذلك من الأسماء التي تشير إلى الإله الذي هو رب الناس جميعاً، ولم تكن عبادة الله مقتصرة على إبراهيم – عليه السلام –، فتشير التوراة إلى أن إبراهيم – عليه السلام – باركه ملكي صادق كاهن الله العلي، "وملكي صادق ملك شاليم أخرج خبزاً وخمراً، وكان كاهناً لله العلي، وباركه، وقال: مبارك أبرام من الله العلي مالك السماوات والأرض، ومبارك الله العلي الذي أسلم أعداءك في يدك"(١).

وتوصل الباحثون إلى أن إيل اسم للإله عُرف في العبادات العربية كلها، بل إن انتشار الأسماء المضافة إلى اسم إيل دليل على عبادة الله تعالى كان أكثر انتشاراً في العالم القديم، مثل مهلئيل، وأبيمائيل، وبابل، وغيرها(٢).

والمعبود الذي يعبد هو الإله في زمن إبراهيم وبنيه حتى موسى وسليمان – عليهم السلام – وحتى زمن الأسر البابلي(٣)، وظلت أسماء الأشخاص والأماكن مقرونا ب– اسم إيل، وأراد عزرا أن يدخل في عقيدة بني إسرائيل يهوه، وأنه إله آبائهم، فنجده يظهره في التوراة المحرفة باستحياء في موقفين، إحداها مع إبراهيم – عليه السلام –، والآخر مع موسى؛ ليعرفه بنفسه، وليعلمه أن آباءه لم يعرفوه، وبهذا برر كاتب التوراة هذا الإله الجديد، حتى يتقبله جميع بني إسرائيل.

فقد عرَّف يهوه موسى – عليه السلام – باسمه الجديد، "ثم كلم الله موسى وقال: أنا الرب، وأنا ظهرت لإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، بأني الإله القادر على كل شيء، وأما باسمي يهوه فلم أُعْرَفَ عندهم"(٤)، أمام هذا النص الغريب لا يسعنا إلا أن نتساءل كيف كان يناجي الأنبياء السابقون ربهم، وبأي اسم كانوا يناجونه؟

وجاء ما يناقض ذلك، "فرفع إبراهيم عينيه، ونظر وإذا كبشٌ وراءه ممسوكاً في الغابة بقرنيه، فذهب إبراهيم وأخذ الكبش، وأصعده محرقة عوضاً عن ابنه، فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع يهوه، يِرأه، حتى إنه يقال اليوم في

---

(١) (تكوين) ١٤: ١٩ – ٢٠.
(٢) راجع (الله أم يهوه أيهما إله اليهود) عبد المجيد همو: ص/ ٢١ – ٢٦.
(٣) راجع (الله أم يهوه أيهما إله اليهود) عبد المجيد همو: ص/ ٣٠، ٦١.
(٤) (خروج) ٦: ٢.

جبل الرب يرى"[١]، ولو كان هذا النص صحيحاً؛ وأن إبراهيم – عليه السلام – يعرف ربه بهذا الاسم لسمى ابنه إسماعيل يهوشاماع، ولكن إبراهيم – عليه السلام – لم يعرف هذا الاسم على الإطلاق، ولما سمى يعقوب – عليه السلام – المكان فينوئيل وبيت إيل، ولما سمى أولاده بأسماء إيلية، ولو تابعنا هذه الأسماء حتى عهد داود – عليه السلام – لما لاحظنا أسماء يهويه، اللهم إلا ما أراد الكاتب إثبات يهوه، والأسماء الإيلية موجودة بكثرة[٢].

لقد كانت في فلسطين جماعتان تدينان بدينين مختلفين، وإلهين مختلفين **أولهما:** من يؤمن بإيل إلهاً، وهم بنو إسرائيل الذين لم يسبوا.

وثانيهما: أبناء السبي الذين يؤمنون بيهوه إلهاً ؟ ولا ندري كيف وَفَّق كاتب التوراة بينهما؟ فالكاتب وضع إيل في الكتاب باعتباره الإله الذي يعرفه آباؤهم، وإرضاء للجماعة الأولى، وتمهيداً لإدخالهم في اليهودية، وكانت المرحلة الأخرى أن ابتلع يهوه إيل، وأوهم الناس أن إيل اسمه يهوه.

"لقد أنزل اليهود الله من عليائه، ووضعوه في مرتبة البشر كي يحطموا الحواجز بينهم وبينه، ويحملوه من آثامهم وشرورهم ما يشاؤون، فيهوه إله قبلي متوحش، متعطش لشرب الدماء، إنه إله أناني، متحيز، يعمل لمصلحتهم وحدهم، والإضرار بغيرهم من الشعوب، وهم شعبه المختار"[٣]، فصورة الإله عندهم مقلوبة؛ لأن الإله عندهم يهرول لإرضاء شعب إسرائيل ولا يُهرول الشعب لإرضاء ربهم، هذا بخلاف كل شعوب الأرض، ولم يستطع اليهود أن يوحدوا بين يهوه والإله، بل إن يهوه ابتلعه، ولم يستطع أن يسمو به إلى سموه[٤].

لا يمكننا أن نلتمس من التوراة المحرفة عقيدة التوحيد، وحاول اليهود أن

---

(١) (تكوين) ١: ٢٢/ ١٣– ١٤.

(٢) راجع (ما بين موسى وعزرا كيف نشأت اليهودية) عبد المجيد همو: ص/ ٣١ – ٣٢.

(٣) (جنور الفكر اليهودي) داؤد سنقرط: ص/ ٦٧.

(٤) راجع (ما بين موسى وعزرا كيف نشأت اليهودية) عبد المجيد همو: ص/ ٢٤١– ٢٤٢.

يسوِّغوا ذلك فزعموا خطأً "أن هذه الوحدانية كان لها صور كثيرة، منها: الوحدانية الوثنية، وهي الإقرار بإله واحد، ولكن هذا الإله له مواصفات محدودة، وله منطقة نفوذ معينه"(١).

اختصاص اليهود بأنهم شعب يهوه المقدس :

جاء في التوراة أن الله سبحانه وتعالى اصطفى إبراهيم – عليه السلام –، "وقال الرب لإبرام: اذهب من أرضك ومن عشيرتك، ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك، فأجعلك أمة عظيمة، وأباركك، وأعظم اسمك، وتكون بركة"(٢)، ويؤكد له هذا الاصطفاء في موضع آخر، ويغير اسمه من إبرام إلى إبراهيم(٣)، ويقع اختيار الرب على إسحاق من بين أخوته؛ ليرث هذا الاصطفاء، "ليستعبد لك شعوب، وتسجد لك قبائل، كن سيداً لإخوتك، وليسجد لك بنو أمك، ليكن لاعنوك ملعونين، ومباركوك مباركين"(٤)، ثم يمتد البركة في يعقوب دون الولد البكر عيسو، ومن هنا يعدُّ اليهود أنفسهم امتداداً لهذا الاصطفاء.

وتستمر هذه الخاصية في ذريتهم "والآن يا شعب إسرائيل... تعلق قلبه بآبائك فأحبهم، فاختار ذريتهم من بعدهم، وأنتم هي هذه الذرية التي اختارها من بين الشعوب كما ترون اليوم"(٥)، وتذهب أدبيات اليهود إلى وجود نوعين من البشر: اليهود، والأغيار (جوييم)(٦)، وقد ذكر هذا المصطلح في القرآن

---

(١) (اليهود في العالم القديم) مصطفى كمال عبد العليم، وسيد فرج راشد: ص/ ١٩١.
(٢) (التكوين) ١٢: ١–٢.
(٣) راجع (التكوين) ١٧: ٤– ٨.
(٤) (التكوين) ٢٧: ٢٩.
(٥) (التثنية) ١٠: ١٢ – ١٥.
(٦) الأغيار، وأصلها بالعبرية غوي، وجمعها غوييم، أو جويم، وترجم إلى الإنجليزية إلى الأممي أو الشعوب، وهم غير اليهود، واقترنت كلمة جوييم في عقول اليهود بالدونية، والاحتقار لغيرهم، درجات أدناها العكوم، أي عبدة الأوثان والأصنام، وأعلاها أولئك الذين تركوا عبادة الأوثان، أي المسيحيون والمسلمون، وهناك – أيضا – مستوى وسط من الأغيار (جيريم) أي المجاورين الساكنين في الجوار، مثل السامريين. راجع (الصهيونية والعنف) عبدالوهاب المسيري: ص/ ٢٩، و(المواثيق والعهود في ممارسات اليهود) جبر الهلول: ص/ ٤٩ – ٥٠.

الكريم وأطلق عليه (الأميين)، قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:٧٥].

واختار يهوه هذا الشعب دون شعوب الأرض ليكون شعبه المختار؛ لأن الرب أحبه فصار شعباً مقدساً، "لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب إلهك؛ لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض، ليس من كونكم أكثر سائر الشعوب التصق الرب بكم... بل من محبة الرب إياكم"[١]، فهذا اصطفاء من يهوه: "واتَّخذُكم لي شعباً، وأكون لكم إلهاً"[٢]، فهم شعب يهوه، ومن ثم فهو شعب مبارك، "مباركاً تكون فوق جميع الشعوب"[٣]، و"شعب مقدس"[٤] فالشعوب الأخرى تقع خارج دائرة القداسة، وعلى هذا فهم جنس فوق البشر، ويجب أن يميزوا عن البشر؛ لأن الله ميزهم: "أنا الرب إلهكم الذي ميزكم من الشعوب... وتكونون لي قديسين؛ لأني قدوس أنا الرب، وقد ميزتكم من الشعوب؛ لتكونوا لي"[٥]، وهو شعب مبارك فوق كل الشعوب: "مباركاً تكون فوق جميع الشعوب"[٦]، وجاء في سفر أشعيا – وفق هذه العقيدة – ليؤكد الحماية الكاملة لهذا الشعب نتيجة هذا الاصطفاء، "والآن هكذا يقول الرب خالقك: يا يعقوب وجابلك يا إسرائيل، لا تخف لأني فديتك، دعوتك باسمك، أنت لي، إذا اجتزت في المياه فأنا معك، وفي الأنهار فلا تغمرك، إذا مشيت في النار فلا تلدغ، واللهب لا يُحرقُك؛ لأني أنا الرب إلهك، قدوس إسرائيل مخلصك، جعلت مصر فِدْيَتَكَ، كوش وسَبَا عِوَضَك... لاتخف، فإني

---

(١) (تثنية) ٧: ٦ –٧.
(٢) (الخروج) ٦: ٧.
(٣) (تثنية) ٧: ١٤.
(٤) (تثنية) ٧: ٦.
(٥) (لاويين) ٢٤:٢٠ – ٢٦.
(٦) (تثنية) ٧: ١٤.

معك"[١]، "ولقد عززت أسطورة الشعب المختار من النزعة المسيحانية في الفكر الديني اليهودي، فكل عضو في أمة الكهنة والقديسين هو تجسيد حي للإله، وصوته من صوت هذا الإله، أي: أنه نبي، أو شبه نبي بالضرورة، وقد عززت فكرة الاختيار – أيضاً – الإحساس الزائف لأعضاء الجماعة اليهودية بوجودهم خارج التاريخ، وبأن القوانين التاريخية التي تسري على الجميع لا تسري عليهم"[٢]، وعلى هذا ينبغي أن يُعَامل اليهود معاملة خاصة متميزة، فلا يحق لليهودي استعباد اليهودي، بينما يحق له استعباد غير اليهودي إلى أبد الدهر[٣]، ويمنع الربا من اليهودي ويسمح بأخذه من غير اليهودي[٤]، والذاكرة اليهودية مليئة بأقوال عن هذه العنصرية المقيتة، حتى ليخيل إلى القارئ أن القوم لا يملكون عقولاً، وقد جاء في التلمود: أن الله خلق نوعين من الحيوانات لخدمة شعبه. نوع أعجم، كالدواب، ونوع كسائر الأمم من أهل الشرق والغرب[٥].

قال الحاخام (أبار بانيل)[٦]: "خلق الله الأجنبي على هيئة الإنسان؛ ليكون لائقاً لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم؛ لأنه لايناسب لأمير أن يخدمه ليلاً ونهاراً حيوان، وهو على صورة الحيوانية"[٧].

وهذا هو ما ينادي به مفكروهم فضلاً عن عامتهم، جاء في مقالة في الصحيفة اليهودية كرونيكور (ie chroniqueur): لقد نفخ الله في كل كائن بشري نفخة الحياة؛ أي الروح، التي نسميها النفس، أما فيما يخص الشعب

---

(١) (إشعيا) ٤٣: ١– ٥.

(٢) (موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية) عبد الوهاب المسيري: ٥/٢/ ٧٧.

(٣) راجع (لاويين) ٢٥: ٣٩ – ٤٦.

(٤) راجع (تثنية) ٢٣: ٢٠.

(٥) راجع (المواثيق و العهود في ممارسات اليهود) جبر الهلول: ص/ ٥٣.

(٦) الحاخام أبار بانيل (١٤٣٧ – ١٥١٨م) يهودي أسباني مفسر للعهد القديم، وحين سقطت غرناطة صدر مرسوم بطرد اليهود فاستقر في البندقية ومات فيهاراجع (موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية) عبد الوهاب المسيري: ٥ / ١٨٣ – ١٨٤.

(٧) (الكنز المرصود في قواعد التلمود) ترجمة يوسف نصر الله: ص/ ٧٥.

اليهودي: فلقد أودعت فيه نفس إضافية، أي: (النفس الإلهية)، بالنتيجة كل واحد منًّا (أي اليهود) يمتلك نفسين تحت تصرفه"[١].

وهذا ما تؤكده الذاكرة اليهودية، يقول موسى بن ميمون[٢]: "هناك بشر غير قادرين على مقاربة الله: إنهم نوع البشر الذين هم ليس لديهم أي معتقد ديني ولا علمي، ولا تقليدي، مثل الأتراك في أقصى الشمال، والزنوج في أقصى الجنوب، والذين يشبهونهم في مناخاتها هؤلاء يعدون مثل الحيوانات غير عاقلة، فأنا لا أصنفهم في مستوى البشر، إذ أنهم من بين الكائنات الحية صنف أدنى من البشر، وأعلى من القرد، بما أن لديه وجه وملامح الإنسان، وفطنة أعلى من القرد"[٣]، ويتصور الفكر الصهيوني أن يهود العالم الحديث هم ورثة أسباط إسرائيل الاثنى عشر[٤]، وكل ما منحه الله لأسلافهم في السابق فهو لهم، وما زال مفكروهم ينظرون إلى شعب إسرائيل أنه شعب مقدس، يقول الحاخام كوهين: "يمكن تقسيم العالم إلى قسمين: إسرائيل من جهة، والأمم الأخرى مجتمعة من جهة أخرى، فإسرائيل هي الشعب المختار: وهذه عقيدة أساسية"[٥]، وقد ساهم أحبار اليهود في تعميق هذا الاتجاه الانفصالي من خلال الشريعة الشفوية، ووسعوا نطاقه، حتى أصبح يتضمن مجرد تناول الطعام ولو كان شرعياً مع الأغيار، بل أصبح ينطبق أيضاً على طعام قام غريب (جوي) بطهوه، حتى وإن طبَّق قوانين الطعام اليهودية، وقد تحول هذا الرفض إلى عدوانية واضحة في التلمود الذي يدعو دعوة صريحة

---

(١) (اليهودية و الغيرية) ألبير تودانزول: ص/١١، نقلا عن عن الصحيفة العدد ١٦ تاريخ ٣ حزيران ١٩٩٢م.

(٢) موسى بن ميمون ولد في قرطبة سنة (١١٣٥م) وتوفي بالقاهرة سنة (١٢٠٤م) وهو عالم من علماء التلمود، وفيلسوف وفلكي وطبيب، وأكبر علماء اليهود في العصر الوسيط. راجع (رسالة في اللاهوت) سبينوزا: ص/ ١٣٠.

(٣) (اليهودية و الغيرية) ألبير تودانزول: ص/١١. نقلا عن (دليل الضالين) موسى بن ميمون، باريس فيرديه، ١٩٧٠م.

(٤) راجع (التطرف الإسرائيلي جذوره وحصاده) طاهر شاش: ص/ ٢٤.

(٥) (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية) روجيه جارودي: ص/٥٤، نقلا عن كتابه المعنون (التلمود) الناشر بايو، باريس، ١٩٨٦م، ص/ ١٠٤.

إلى قتل الغريب[1]، وهذا الاستعلاء العنصري له ما يسوِّغه في نصوصهم الدينية، كما صور لهم أحبارهم أنهم آلهة فوق البشر، "أنا قلت: إنكم آلهة، بنو العلي كلكم، لكن مثل الناس تموتون، وكأحد الرؤساء تسقطون"[2].

فالتوراة المحرفة هي التي رسخت "جذور العنصرية، والتعصب، والانعزالية، ورسخت في أنفسهم أنهم شعب يهوه المختار، وأنهم أفضل شعوب الأرض قاطبة، وأن يهوه اختارهم؛ لأنه أحبهم، وقد بلغ من تعصبهم وصلفهم، وغرورهم أنهم عَدُّوا يهوه إلهاً خاصاً بهم، احتكروه لأنفسهم، وحرموا بقية الشعوب من الاتصال به، وتتدرج التوراة في غرس حب الانعزال، والتعصب من أيام إبراهيم – عليه السلام – إلى آخر سطر فيه"[3]، وهذه النظرة الاستعلائية أدت بطبيعة الحال إلى مزيد من عزلة اليهود عن الأغيار، وأدت – أيضاً – إلى مزيد من العدوانية اتجاههم، وجعلت من اليهود المشتتين "في أنحاء الأرض منعزلين عن مجتمعاتهم داخل (الجيتو)[4]، رافضين على مدى القرون الطويلة الاندماج وسط الشعوب الأخرى (الجوييم)، يمارسون طقوسهم الدينية، ويدرسون التوراة والتلمود في مدارسهم ومعابدهم الخاصة، ويتبعون نظاماً خاصاً بهم في المأكل والملبس، وأحسوا بأنهم غرباء في البلدان التي عاشوا فيها، كما أحس سكان تلك البلاد بأن اليهود أجانب تربطهم بأبناء دينهم في البلاد الأخرى روابط أوثق منها معهم"[5].

ويرجع يعقوب شريت أحد أسباب النكبات التي نزلت باليهود إلى هذه العقيدة، فيقول: "شعب يعيش معزولاً، ولا يهتم بالغرباء الذي دفع خلال مسيرته التاريخية المرة تلو الأخرى ثمن العزلة، وثمن عدم الاهتمام بالواقع الذي يحيط به، هاهو يفعل ذلك مرة أخرى، إنه الغباء كيف يمكن تفسير هذا!؟"[6].

---

(١) راجع (الصهيونية و العنف) عبد الوهاب المسيري: ص/ ٣٠.
(٢) (المزمور) ٨٢: ٦– ٨.
(٣) (جذور البلاء) عبدالله التل: ص/ ٢١ – ٢٢.
(٤) الجيتو: أحياء اليهود في أوربا. راجع (الجماعات الوظيفية اليهودية) عبدالوهاب المسيري: ص/ ١١١.
(٥) (التطرف الإسرائيلي جذوره وحصاده) طاهر شاش: ص/ ٢٧.
(٦) (دولة إسرائيل زائلة) يعقوب شريت: ص/ ٦٣.

ومن المعروف: أن الشريعة اليهودية تحرم على الطبيب اليهودي أن يعالج غير اليهودي إلا إذا اضطر إلى ذلك، وبعد تكوين الكيان الصهيوني انطلق هيكلها القانوني من هذا التقسيم، ودستور الصندوق القومي اليهودي يحرم تأجير الأرض اليهودية للأغيار، ومن أطرف تطبيقات هذا المفهوم في الوقت الحاضر: القرار الذي أصدره مؤتمر الدراسات التلمودية الثامن عشر الذي عقد في القدس عام ١٩٧٤م، وحضره رئيس الوزراء آنذاك إسحاق رابين، الذي جاء فيه ضرورة منع قيام الطبيب اليهودي بمساعدة المرأة غير اليهودية على الحمل[١].

قال الدكتور حسن ظاظا: "وفي بؤرة المهانة والتشرد على مدى ما يقرب من ألفي سنة يرفض اليهود التآخي مع غيرهم من الأمم، ويشجعهم كهنتهم على هذه العزلة، فمن الأقوال المأثورة عندهم: أنهم امتازوا دون سواهم بثلاث هبات ربانية هي: التوراة، وفلسطين، ثم الجنة في الآخرة، ورووا هذا الكلام عن أكثر من واحد من علمائهم القدماء في التلمود والمدراش"[٢].

لقد ولدت هذه العقيدة المنحرفة الشعور بالاستعلاء، فاصطبغوا بالأنانية، والجشع، واستصغروا سائر الشعوب، وتآمروا عليها، ويرى المحققون أن كثيراً من المؤامرات، والخطط الشريرة في العالم كان وراءها اليهود، فأوقدوا نار الحروب والفتن بين الناس[٣]، "ولعل هذا ما يفسر وجود أعضاء الجماعة اليهودية بشكل ملحوظ في جرائم انتهاك الحرمات، مثل البغاء، ونشر المجلات الإباحية، وغير ذلك"[٤].

لابد من وقفات مع عقيدة (شعب الله المختار) من وجوه:

الوقفة الأولى: القرآن الكريم يؤكد اصطفاء بني إسرائيل على العالمين، قال

---

(١) راجع (الصهيونية و العنف) عبدالوهاب المسيري: ص/ ٣٢ - ٣٣.

(٢) (أبحاث في الفكر اليهودي) حسن ظاظا: ص/١٠ - ١١١.

(٣) راجع (اليهود من كتبهم) محمد علي الخولي: ص/ ٤٨، و (الصهيونية و العنف) عبد الوهاب المسيري: ص /٢٤٣ - ٢٩١.

(٤) (الجماعات الوظيفية اليهودية) عبدالوهاب المسيري: ص/ ١٠٧.

تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧]، ولكن هذا التفضيل والاصطفاء على العالمين ليس على إطلاقه كما يزعم اليهود، ولم ينل بنو إسرائيل هذا الاصطفاء إلا بالالتزام بعهد الله تعالى، كما قال الحق عز وجل: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]، وحينما أكرم الله عز وجل إبراهيم – عليه السلام – وجعله إماماً للناس طلب بدافع الفطرة البشرية بأن يستمر ذلك في ذريته من بعده، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، "وجاءه الرد من ربه الذي ابتلاه واصطفاه يقرر القاعدة الكبرى... أن الإمامة لمن يستحقونها بالعمل والشعور، وبالصلاح والإيمان، وليست وراثة أصلاب وأنساب، فالقربى ليست وشيجة لحم ودم، وإنما هي وشيجة دين وعقيدة، ودعوى القرابة والدم والجنس والقوم إن هي إلا دعوى الجاهلية التي تصطدم اصطداماً أساسياً بالتصور الإيماني الصحيح"[١]، ومن هنا نقول: إن اليهود لا يشملهم الوعد إطلاقاً؛ لأنهم أتباع ديانة جديدة، وهم ملعونون بنص التنزيل: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

وهناك نصوص في التوراة الحالية تبين ذلك، وهذا يعني أن هذا الوعد مشروط بطاعة الله سبحانه وتعالى، فالعصاة لا يشملهم هذا الوعد، "ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك عليك جميع هذه اللعنات، وتدركك، ملعوناً تكون في المدينة، وملعوناً تكون في الحقل، ملعوناً تكون سلتك... وتكون قلقاً في جميع ممالك الأرض، وتكون جثتك طعاماً لجميع طيور السماء، ووحوش الأرض، وليس من يزعجها"[٢].

---

(١) (في ظلال القرآن) سيد قطب: ١/ ١١٢.
(٢) (تثنية) ٢٨: ١٢ – ١٤.

إذاً عند عدم الالتزام بأمر الله لا يكتفي بسحب هذه الميزة، بل تحيق بهم الكوارث من كل حدب وصوب، ويبادون سريعاً عن الأرض حين يعصون الله تعالى، "فاحترزوا أن تغوى قلوبكم فتزيغوا وتعبدوا آلهة أخرى، وتسجدوا لها؛ فيحمي غضب الرب عليكم... فتبيدون سريعاً عن الأرض الجيدة التي يعطيكم الرب"[١]، ويرى سبينوزا أن هذا الوعد متعلق بالفضيلة الحقة، وعلى هذا فهو ليس وعداً للأتقياء من اليهود فقط، بل وُعِدَ المؤمنون من أمم مختلفة بهذا الوعد على لسان أنبيائهم، وعلى هذا فهو ميثاق شامل، وليس مختصاً باليهود[٢].

الوقفة الثانية: وَصَفَت التوراةُ اليهودَ بصفات لا تؤهلهم بأن يكونوا شعب الله المختار، فالتاريخ يشهد على انحرافه، وعبادة الأصنام، ومن الغريب أن بني إسرائيل انحرفوا عن عبادة الله إلى عبادة الأصنام حتى في فترة سيدنا موسى – عليه السلام – كما تقول التوراة: "قال الرب لموسى حتى متى يهينني هذا الشعب، وحتى متى لا يصدقونني؟! بجميع الآيات التي عملت في وسطهم..إنني أضربهم بالوباء"[٣]

ولا يملك اليهود أي مواصفات التميز فهم شعب عاصٍ، قال موسى – عليه السلام –: "فلْيَسِرِ السيد في وسطنا، فإنه شعب صُلب الرقبة"[٤]، ويستحق أن يحيق به العذاب، "قال الرب لموسى: رأيتُ هذا الشعب وإذا هو شعب صُلب الرقبة، فالآن اتركني، ليحمي غضبي عليهم وأفنيهم"[٥]، وعبدوا العجل حين ذهب

---

(١) (تثنية) ١١: ١٦ – ١٧جاء في سفر (الملوك الأول) ٩: ٦– ٩: "إن انقلبتم وأبناؤكم من ورائي، ولا تحفظون وصاياي وفرائضي التي جعلتها أمامكم، بل تذهبون وتعبدون آلهة أخرى، وتسجدون لها، فإني أقطع إسرائيل عن وجه الأرض، والبيت الذي قدسته لاسمي أنفيه أمامي، ويكون إسرائيل مثلاً وهزأة في جميع الشعوب، وهذا البيت يكون عبرة، كل من يمر عليه يتعجب، ويقول: لماذا عمل الرب هكذا لهذه الأرض، ولهذا البيت؟ فيقولون: من أجل أنهم تركوا الرب إلههم الذي أخرج آباءهم من مصر، وتمسكوا بآلهة أخرى وسجدوا لها!! وعبدوها؛ لذلك جلب الرب عليهم كل هذا الشر".

(٢) راجع (رسالة في اللاهوت والسياسة) سبينوزا: ص/ ١٨٧ – ١٨٨.

(٣) (العدد) ١٤: ١١– ١٢.

(٤) (الخروج) ٣٤: ٩.

(٥) (خروج) ٣٢: ٩ – ١٠.

موسى – عليه السلام – لميقات ربه[١]، وكان لابد من إهلاكهم بعد أن عبدوا آلهة أخرى، فهو شعب لا يملك مسكة عقل، "فرأى الرب ورذل من الغيظ بنيه وبناته، وقال أحجب وجهي عنهم، وأنظر ماذا تكون آخرتهم، إنهم جيل متقلب، أولاد لا أمانة فيهم، هم أغاروني بما ليس إلهاً، أغاظوني بأباطيلهم، فأنا أغيرهم بما ليس شعباً بأمة غبية أغيظهم،... أجمع عليهم شروراً، وأنفذ سهامي فيهم،... إنهم أمة عديمة الرأي، ولا بصيرة فيهم لو عقلوا لفطنوا بهذه وتأملوا آخرتهم"[٢].

وقال هارون – عليه السلام – عنه لموسى – عليه السلام –: "لا يحمَ غضب سيدي، أنت تعرف الشعب، إنه في شر"[٣]، وفي عهد القضاة سرعان ما عادوا إلى عبادة الأصنام، "عاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب، وعبدوا البعليم، والعشتاروث، وآلهة آرام، وآلهة صيدون، وآلهة موآب، وآلهة بني عمون، وآلهة الفلسطينيين، وتركوا الرب ولم يعبدوه، فحمي غضب الرب على إسرائيل، وباعهم بيد الفلسطينيين، وبيد بني عمون"[٤].

وفي عهد سليمان – عليه السلام – كما يقول العهد القديم – كان مسلطاً على جميع الملوك من النهر إلى أرض فلسطين، إلى تخوم مصر[٥]، ولكن ما إن التحق بالرفيق الأعلى حتى عاد بنو إسرائيل إلى غيهم، وكفرهم، وعبدوا الأصنام، وكذبوا الرسل، فسلط الله على دولة إسرائيل الآشوريين حتى لم يبق لهم نكر، وسلط (نبوخذنصر)، وسباهم ودمر دولتهم، قال داود: "لماذا رفضتنا يا الله إلى الأبد"[٦]، وكان عقاب الله شديداً "قال السيد الرب: لأرض إسرائيل نهاية قد جاءت النهاية على زوايا الأرض الأربع، الآن النهاية عليك، وأرسل

---

(١) راجع (خروج) ٣٢: ٢١ – ٢٤. ومن الغريب: أن التوراة تقول: إن هارون ـج هو الذي صنع لهم العجل، وهل شعب يتهم أنبياءه بالشرك شعب مختار؟!
(٢) (تثنية) ٣٢: ١٩ – ٢٨.
(٣) (خروج) ٣٢: ٢١.
(٤) (القضاة) ١٠: ٦ – ٧.
(٥) راجع (أخبار الأيام الثانية) ٩: ٢٦.
(٦) (مزامير) ٧٤: ١.

غضبي عليك... وأجلب عليك كل رجاساتك فلا تشفق عيني، ولا أعفو"[١]، وكان عقاباً وخزياً أبدياً، "وأجعل عليكم عاراً أبدياً، وخزياً أبدياً لا ينسى"[٢]، وقد أطلق أشعيا عليهم بأنهم شعب منافق: "ويل لآشور قضيب غضبي، والعصا في يدهم هي سخطي، على أمة منافقة أرسله، وعلى شعب سخطي أوصيه ليغتنم غنيمة، وينهب نهباً، ويجعلهم مدروسين كطين الأزقة"[٣].

وأكد نحميا أن الفساد استشرى بين الشعب، صغيرهم وكبيرهم على حدٍّ سواء، وتركوا الشريعة: "وملوكنا ورؤساؤنا، وكهنتنا وآباؤنا لم يعملوا شريعتك، ولا أصغوا إلى وصاياك، وشهاداتك التي أشهدتها عليهم، وهم لم يعبدوك في مملكتهم، وفي خيرك الكثير الذي أعطيتهم، وفي الأرض الواسعة السمينة التي جعلتها أمامهم، ولم يرجعوا عن أعمالهم الردية"[٤].

إذاً فليس الاصطفاء - كما يرها اليهود - اصطفاء جنس وعرق، بل كان اصطفاء مشروطاً باتباع منهج الله، والالتزام بأوامره، وترك ما نهى عنه، فكان الاصطفاء على أساس من التقوى، وقد نقض بنو إسرائيل العهد مراراً وتكراراً، ولم يلتزموا بالعهد إلا فترات قليلة من تاريخهم، وعلى هذا فهم ليسوا شعب الله المختار، قال أرميا: "قد نقض بيت إسرائيل، وبيت يهوذا عهدي الذي قطعته مع أبائهم... لأنه بعدد مدنك صارت آلهتك يا يهوذا، وبعدد شوارع أورشليم وضعتم مذابح للخزي، ومذابح للتبخير للبعل"[٥].

وتوعدهم الرب على لسان نبيهم حزقيال بالدمار بسبب رجاساتهم: "أيتها المدينة (أورشلم) السافكة الدم في وسطها!... الصانعة أصناماً لنفسها لتتنجس بها، قد أثمت بدمك الذي سفكت، ونجست نفسك بأصنامك التي عملت، وقربت أيامك، وبَلَغْت سِنِيكِ! فلذلك جعلتك عاراً للأمم، وسخرية لجميع الأرض ..

---

(١) (حزقيا) ٧: ١ - ٨.
(٢) (أرميا) ٢٣: ٣٩.
(٣) (أشعيا) ١٠: ٥ - ٦.
(٤) (نحميا) ٩: ٣٤ - ٣٥.
(٥) (أرميا) ١١: ١٠ - ١٣.

يسخرون منك يانجسة الاسم ! يا كثيرة الشغب ! هو ذا رؤساء إسرائيل كل واحد – حسب استطاعته – كانوا فيك من أجل سفك الدم، فيك أهانوا أبا وأماً في وسطك، عاملوا الغريب بالظلم، فيك اضطهد اليتيم والأرملة، ازدريت أقداسي، ونجست سُبُوتي !.. أنا الرب تكلمت، وسأفعل: أبددك بين الأمم! وأُذرِّيك في الأراضي"(١). فأي اصطفاء بعد ذلك لقوم دينهم الكفر، وعبادة الأصنام.

يقول سبينوزا: "إن العبرانيين لم يتميزوا عن سائر الأمم بالعلم، أو التقوى... بالرغم من التحذيرات التي وجهت إليهم، لم يكونوا أصفياء الله في الحياة الحقة...أما فيما يتعلق بالحكمة فمن الثابت... أنه كانت لديهم معتقدات فجة إلى حد بعيد عن الله والطبيعة، لذلك لم يخترهم الله ولم يفضلهم الله على الآخرين لهذا السبب، ولا من أجل الفضيلة والحياة الحقة، فقد كانوا من هذه الناحية على قدم المساواة مع باقي الأمم"(٢).

الوقفة الثالثة: الخلق عيال الله تعالى، وليس بين الله وبين أحد من خلقه نسب، وقد بارك الله إبراهيم – عليه السلام –؛ لأنه التزم بأمر الله سبحانه وتعالى، وبارك ذريته، وأكثر نسله، حتى عمت البركة شعوباً مختلفة، فليس هناك اصطفاء لجنس، بل اصطفاء لمن يسير على نهجه – عليه السلام –، ويبارك الله مباركيه – عليه السلام – بنص التوراة، وليس هناك أمة من الأمم تصلي وتبارك على سيدنا إبراهيم – عليه السلام – مثل أمة محمد ﷺ، فهي بالتالي خير أمة أخرجت للناس، "وقال الرب لأبرام اذهب من أرضك، ومن عشيرتك، ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك، فأجعلك أمة عظيمة وأباركك، وأُعَظِّمُ اسمك، وتكون بركة، وأبارك مباركيك، ولاعنك ألعنه، وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض"(٣)، وإذا كان اليهود يزعمون أنهم عرق مميز لم يختلط بآخر فكيف سيتبارك بإبراهيم – عليه السلام – سائر الأمم؟

الوقفة الرابعة: التاريخ يشهد ببطلان قداسة هذا الشعب، فعندما التحق

(١) (حزقيال) ٢٢: ٣ – ١٥.
(٢) (رسالة في اللاهوت) سبينوزا: ص/ ١٧٣ – ١٧٦.
(٣) (تكوين) ١٢: ١– ٣.

سليمان – عليه السلام –بالرفيق الأعلى انقسمت دولته إلى دولتين: دولة إسرائيل، ودولة يهوذا، دولة إسرائيل لم تعمر طويلاً، نتيجة كفرهم وضلالهم فكان عقاب الله لهم شديداً، فتمكن الآشوريون من القضاء عليها، وسبي الأسباط العشرة من بني إسرائيل ما عدا سبطي يهوذا وبنيامين، وضاع الأسباط العشرة في المنطقة التي هُجِّروا إليها، ولم يبق لهم بعد ذلك ذكر، واليهود الحاليون الأكثرية منهم ليسوا من بني إسرائيل كما سيأتي، وهذا يعني – بكل بساطة – أنه لا وجود للشعب، المقدس، فقد ضاع في الشعوب، واختلط بهم.

الوقفة الخامسة: يقول سبينوزا: "الفرح الذي يشعر به المرء نتيجة لاعتقاده أنه أسمى من الآخرين، إن لم يكن شعوراً طفولياً، فإنه لا ينشأ إلا من الحسد، أو من القلب الحاقد، مثال ذلك أن الهناء الحقيقي، وسعادة الإنسان لا يكونان إلا في الحكمة وحدها، ومعرفة ماهو حق، وليس على الإطلاق في أن يكون أحكم من الآخرين، أو في أن يكون الآخرون محرومين من الحكمة؛ لأن ذلك لن يزيد أبداً من حكمته الخالصة، أي من هنائه الحقيقي، فمن يفرح لذلك يفرح لشقاء الآخرين، ويكون حسوداً وشريراً، لا يعلم الحكمة الحقيقية، أو طمأنينة الحياة الحقة"[١].

المبحث الثاني
نقاء العرق

مدلول كلمة العِرْق – هنا – مرادف لمعنى كلمة السلالة، أو الجنس، أو الدم، واليهود يؤمنون بأن ثمة عرقاً يهودياً مستقلاً، وأن أساس اليهودية هو الانتماء العرقي[٢]، ونقاء العرْق يشكل حجر الزاوية في نظرية عزرا، وهذه النظرة نتيجة بدهية لمقولتهم: إنهم شعب الله المختار، ومن البدهي بعد ذلك أن تحرص التوراة المحرفة كل الحرص على عدم اختلاطه بأعراق أخرى، حتى لا

---

(١) (رسالة في اللاهوت) سبينوزا: ص/ ١٧١.
(٢) راجع (الصهيونية و العنف) عبدالوهاب المسيري: ص/ ٣٥.

يفقد نقاءه، وتميزه، وللمحافظة على نقاء العرق تحرم التوراة الزواج من غير اليهوديات، والسبب وراء هذه العنصرية الممقوتة أن عزرا أدرك أن الزواج من غير اليهوديات سيؤدي بلا شك إلى التخفيف من حدة هذه العنصرية، ومن ثم مع الزمن يفقدونها، وسيذوبون ضمن شعوب أكثر عدداً وقوة، لذا كان من أول مهمات عزرا حين وطأت أقدامه أرض فلسطين التفريق بين الزوجات غير اليهوديات من أزواجهم، وكَرَّس في ذاكرة هذا الشعب بقدر ما يحافظ على هذا النقاء يبقى هذا التميز فيه.

فإسحاق وفق التوراة ما نال ما نال من مكانة وبركة دون سائر إخوته إلا لأنه كان نقي السلالة، فهو من إبراهيم – عليه السلام – وسارة، وحافظ على هذه السلالة دون إخوته، وطلب إبراهيم من عبده ألا يتزوج إسحاق من بنات الكنعانيين، بل يتزوج من أهله وعشيرته، فكان أن تزوج رفقة البنت الصغرى لناحور شقيق إبراهيم – عليه السلام –[(١)]، وأَبْعَد إسماعيل – عليه السلام – ووالدته عن إسحاق حتى لا يرث معه[(٢)]، كما أبعد أبناء السراري[(٣)].

ورزق إسحاق – عليه السلام – بولدين عيسو البكر، ويعقوب الثاني، وعيسو هو الوريث الشرعي له، ولكنه يطرد من السلالة لارتكابه عاراً بأن تزوج من نساء حثيات[(٤)]، فكرهت والدته رفقة الحياة من جراء هذا العمل المشين[(٥)]، ولحسن الحظ فإن يعقوب قد سرق البركة الأبوية[(٦)]، والبكورية[(٧)] من أخيه حتى يستمر صفاء الدم العائلي، وإلا لكانت ذرية إبراهيم قد تلطخت برجسات الشعوب – وفق هذا المنطق الأعوج –، وحافظ الابن البار على هذا النسل

---

(١) راجع (سفر التكوين) ٢٤.
(٢) راجع (تكوين) ٢١: ١٠.
(٣) (تكوين) ٢٥: ١ – ٥.
(٤) راجع (التكوين) ٢٦: ٣٤ – ٣٥.
(٥) راجع (التكوين) ٢٧: ٤٦.
(٦) راجع (التكوين) ١:٢٧ – ٢٩.
(٧) راجع (التكوين) ٢٥: ٢١– ٣٤.

المبارك، ولم يتزوج من كنعانيات، امتثالاً لأمر أبيه فتزوج من بنت لابان شقيق والدته، ويرث بالتالي بركة إبراهيم- عليه السلام -، ويرث الأرض التي أعطيت لإبراهيم[١]، وكان عقوبة عيسو أن خدم أخاه، وذريته الأدوميون سوف يصبحون عبيداً لأبناء يعقوب[٢]، "يحاول سفر التكوين أن يبرهن أن الأجداد الكبار الأربعة هم من العائلة نفسها، وبدون دنس، كلهم من ذرية تارح، فإسماعيل وعيسو - بما أن لهم حق البكورية - كان يجب أن يظهروا بين الآباء عكس إسحاق ويعقوب الذين هم أصغر منهم، لكن الأول ابن المصرية، فذريته ملوثة، والثاني يتزوج من نساء أجنبيات، فذريته غير طاهرة، لذلك أبعدوا، فما هو سبب هذا التفضيل لابن على آخر، ولذرية على ذرية أخرى؟ يتساءل دانيل روبس بشأن يعقوب وعيسو، ثم يجيب، نحن لا نشك بأن الشرح يكمن في آيات التوراة التي تقول لنا: إن عيسو قد تزوج من نساء حثيات، وكنعانيات، مخالفاً بذلك القانون• الأساس للقبيلة، ومُدخلاً دماء غريبة في الجنس، هذه الزيجات كانت مُرة لنفس إسحاق ورفقة، أما يعقوب فهو - على العكس - سوف يكون الشخص الذي فيه ستستمر السلالة السليمة"[٣]، من أجل ذلك يمنع منعاً باتاً زواج اليهودي من غير اليهودية، وزواج اليهودية من غير اليهودي، هذه هي شريعة موسى - عليه السلام - بزعم عزرا، "متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها وطرد شعوباً كثيرة من أمامك... ودفعهم الرب إلهك أمامك وضربتهم فإنك تحرمهم، لا تقطع لهم عهداً، ولا تشفق عليهم، ولا تصاهرهم، بنتك لا تعط لابنه، وبنته لا تأخذ لابنك"[٤].

إن أسطورة العرق الصافي المبني على الفصل التام بين اليهود وغير اليهود تكاد تكون المحور الذي ترتكز عليه التوراة، وتحاول أن تجعل من هذه

---

(١) راجع (التكوين) ٢٨: ١ - ٥.
(٢) راجع (التكوين) ٢٧: ٣٧ - ٤١.
(٣) (اليهودية و الغيرية) البيرتو دانزول: ص/ ٤٦، نقلاً عن (شعب التوراة) دانيل روبس، باريس > يسليه دي بروير ١٩٧٠ م.
(٤) (التثنية) ٧:١ - ٣.

الأسطورة سنة الله في خلقه، بل إن ثبات الكون واستقراره يكون بالالتزام بهذه النظرية، "لا تزوج بهائمك جنسين، وحقلك لا تزرع صنفين، ولا يكن عليك ثوب مصنف من صنفين"[١]، هذا القانون الذي يمنع الاختلاط بين النباتات والحيوانات، هو نفس القانون الذي يدعوا إلى عدم اختلاط العرق الصافي مع غيره، ويأمرهم بالتمييز بين الطاهر وغير الطاهر؛ لأنهم أطهار، "أنا الرب إلهكم الذي ميزكم من الشعوب فتميزون بين البهائم الطاهرة والنجسة، وبين الطيور النجسة والطاهرة، فلا تدنسوا نفوسكم بالبهائم والطيور، ولا بكل ما يدب على الأرض مما ميزته لكم؛ ليكون نجساً، وتكونون لي قديسين؛ لأني قدوس أنا الرب، وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لي"[٢]، " لا تزرع حقلك صنفين لئلا يتقدس المِلْءُ الزرع الذي تزرع، ومحصول الحقل، لا تحرث على ثور وحمار معاً، لا تلبس ثوباً مختلطاً صوفاً وكتاناً معاً"[٣].

ويكون دور الكاهن فيما بعد هو المحافظة على هذا النقاء والتمييز، "ويرون شعبي التميز بين المقدس والمُحَلَّل، ويعلمونهم التميز النجس والطاهر"[٤].

ولأهمية هذه المسألة في الفكر التوراتي نراها تمنع اليهود من إبرام العقود مع سكان البلاد الكنعانية؛ خشية أن يفضي ذلك إلى الزواج من بناتهم، "احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض، فيزنون وراء آلهتهم، ويذبحون لآلهتهم، فتدعى وتأكل من ذبيحتهم، وتأخذ من بناتهم لبنيك، فتزني بناتهم وراء آلهتهن، ويجعلن بنيك يزنون وراء آلهتهن"[٥].

وظل هذا الفكر يزداد تطرفاً على أيد أحبار السوء، حتى نجد في سفر يوشع أن مبلغ تأييد يهوه لهم بقدر التزامهم بهذا القانون، "ولكن إذا رجعتم، ولصقتم ببقية هؤلاء الشعوب، أولئك الباقين معكم، وصاهرتموهم، ودخلتم

---

(١) (اللاويين) ١٩: ١٩.
(٢) (اللاويين) ٢٠: ٢٤ – ٢٦.
(٣) (التثنية) ٢٢: ٩ – ١١.
(٤) (حزقيال) ٤٤: ٢٣.
(٥) (الخروج) ٢٤: ١٥ – ١٦.

إليهم، وهم إليكم فاعلموا يقيناً أن الرب إلهكم لا يعود يطرد أولئك الشعوب من أمامكم، فيكونوا لكم فخاً وشركاً وسوطاً على جوانبكم، وشوكاً في أعينكم، حتى تبيدوا عن تلك الأرض الصالحة التي أعطاكم إياها الرب إلهكم "(١).

إذاً فالرزية كل الرزية بزواج شعب يهوه من الأغيار، وهو سبب كل الرزايا والبلايا، ولعله أم الخبائث، فالغرق الذي عمَّ الأرض هو بسبب زواج أبناء الله من بنات الناس(٢).

من أجل ذلك ترى التوراة المحرفة أن بني إسرائيل أبادوا أهل مديان لكون أن بني إسرائيل زنوا ببناتهم، ولم تستطع بنات مدين أن يمتنعن عن بني إسرائيل:" وأقام إسرائيل في شِطّيم، وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب، فدعون الشعب إلى ذبائح آلهتهنَّ، فأكل الشعب وسجد لآلهتهن، وتعلق إسرائيل ببعل فغور، فحمي غضب الرب على إسرائيل، فقال الرب لموسى: خُذ جميع رؤوس الشعب، وعلّقهم الرب مقابل الشمس، فيرتدَّ حمو غضب الرب عن إسرائيل، فقال موسى لقضاة إسرائيل: اقتلوا كُل واحد قومه المتعلقين ببعل فغور "(٣).

وما زالت دولة سليمان - عليه السلام - إلا بسبب زواجه من نساء مؤابيات، أمونيات، وآدوميات، وصيداويات، وحثيات، سبعمائة من النساء، وثلاثمائة من السراري، وكن سبباً في إمالة قلبه في زمن شيخوخته إلى آلهتهن، وعمل الشر في عين الرب، فغضب عليه الرب، ولذلك قال له الرب: "من أجل إنك لم تحفظ عهدي، وفرائضي، التي أوصيتك بها فإني أُمزق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها لعبدك "(٤)، لقد أسس عزرا ديانة على أسس من التفرقة العنصرية، وكراهية الأغيار، وفي المشهد الختامي الحزين لسفر عزرا أفلحت

---

(١) (يشوع) ٢٣: ١٢ - ١٣.
(٢) راجع (التكوين) ٦: ٤.
(٣) راجع (تكوين) ٢٥:
(٤) راجع (الملوك الأول) ١١: ٣- ١٢.

دموع الكاهن وبما يملك من صلاحيات أن يخلص الشعب من كل النساء الغريبات وأطفالهن وينفيهنَّ من الأرض، تلبية لنزواته.

وظل أحبار السوء على مرِّ الأزمنة التالية يكرسون هذا المفهوم من خلال التلمود، وقد جاء "إذا كان هناك أحدهم في إسرائيل يريد أن يعطي ابنته لأي رجل من جنس الأغيار فليحكم عليه بالموت، ولنرجمه؛ لأنه ارتكب فعلاً معيباً في إسرائيل، ولنحرق المرأة لأنها دنست اسم عائلتها، ولتقتلع من إسرائيل، يجب ألا نجد في إسرائيل لا زناً ولا دنساً طالما استمرت الأجيال الأرضية؛ لأن إسرائيل هي طاهرة للرب، كل إنسان يرتكب دنساً يجب أن يحكم بالموت، ويجب أن يرجم المعاشرة غير الشرعية، والعلاقات الجنسية مع الأجنبي يمكن أن تقمع بقسوة، ونجد في المشناه أيضاً: إذا أحدهم... جعل من الآرامية عشيقته فهو مهدد بضربات الزيلوت (أي الخماسيين)، وأي امرأة تعطي نفسها لأجنبي تصبح زانية (حرفياً) فهي تتلوث إلى الأبد"[١]، جاء في القانون المدني والجنائي في الفقه اليهودي المادة (٣٩٦): إن الزواج المعقود بين يهودي وكافر(غير اليهودي)، أو العكس باطل، والحياة الزوجية القائمة بينهما تعتبر فجوراً، وزناً مستمرين، والأولاد الذين يولدون من هذه المعاشرة المرذولة يعتبرون أبناء زنا[٢].

ومن الغريب: أن العهد القديم سمح لليهوديات بالزواج من غير اليهودي لمصلحة اليهود، فتزوجت أستير من إرتحشستا، ولها سفر خاص بها، وزنت يهوديت بإليقانة قائد نبوخذنصر حتى قتله، وولى جيشه الأدبار تاركاً القدس من قبضته، وبهذا يحار المرء في هذا الكتاب المقدس أي أمر سيُطبق، علماً بأن ابني يعقوب شمعون ولاوي قد أبادا مدينة شكيم لأن (دينة) أختهم زنت بشكيم بن حمور حسب رأي الكتاب المقدس، وكان في استطاعتهم أن يستغلوا (دينه)

---

(١) (اليهودية والغيرية) ألبير تودانزول: ص/ ٢١- ٢٢.
(٢) راجع (الفكر الديني اليهودي) حسن ظاظا: ص/ ١٩٢.

لمصلحتهم، ولكن كتبة الكتاب المقدس رفضوا ذلك؛ ليزداد تناقض الكتاب تناقضاً(١).

وتؤمن الصهيونية بأن ثمة عرقاً يهودياً مستقلاً، وأن هذا العرق حافظ على وحدته رغم التأثيرات المناخية فيه، فحافظت اليهودية على نقاوتها عبر العصور، يقول المفكر الألماني اليهودي ماكس نوردو(١٨٤٩-١٩٢٣م) في لغة لا تقبل الشك وتخلو تماماً من الإبهام: إن اليهودية ليست مسألة دين، وإنما هي مسألة عِرْق وحسب(٢).

وقفات مع عقيدة (نقاء العرق) عند اليهود:

الوقفة الأولى: إن أسطورة العرق الصافي بإقامة سلالة الآباء بدون دنس تخالف بدهيات تاريخهم كانت عالقة بذهن بني إسرائيل عن زواج رجالات بني إسرائيل وعظمائهم من غير بني إسرائيل، وإليك بعض هذه الزيجات:

١ - زواج إبراهيم - عليه السلام - أبو الأنبياء من هاجر، وقطورة، ولو كان في الأمر معصية لما أقدم على هذا العمل.

٢ - زوجة يعقوب - عليه السلام - (راحيل) كانت تعبد الأصنام في بيوت النبوة(٣).

٣ - تزوج يوسف من امرأة مصرية(٤).

٤ - تزوج يهوذا بن يعقوب من امرأة كنعانية، والأبناء الخمسة ليهوذا هم أبناء الكنعانية(٥)، وعلى هذا فقبيلة يهوذا الكبيرة هي الأخرى ممزوجة بدم كنعاني.

---

(١) راجع (اليهودية بعد عزرا وكيف أقرت) عبد المجيد همو: ص/ ١٦٤ - ١٦٥.
(٢) راجع (الصهيونية والعنف) عبد الوهاب المسيري: ص/ ٣٥ - ٣٦.
(٣) راجع (تكوين) ٣١: ٣٣- ٣٥.
(٤) راجع (التكوين) ٤١: ٤٥، ٥٠ - ٥٢.
(٥) راجع (التكوين) ٣٨: ١-٥.

٥ - لم يتزوج موسى من بني إسرائيل، ولا من الآراميات، وإنما تزوج من امرأة مديانية[(١)]، وهي أم أولاده، وتزوج من المرأة الكوشية (الحبشية) التي ثار عليه بسببها أخوه هارون وأخته مريم، وقصته في الكتاب المقدس أشهر من أن تُنكر[(٢)]، فأولاده لم يعودوا عبرانيين أقحاح[(٣)].

٦ - تزوج القاضي شمشون من فتيات فلسطينيات ومنهن دليلة[(٤)].

٧ - تزوج سلمون من سبط يهوذا راحاب الزانية التي نجت من مجزرة أريحا بسبب مساعدتها لبني إسرائيل عند غزوهم لها، ومن نسلها الملك داود - عليه السلام -[(٥)].

٨ - تزوج داود عدة نساء إسرائيليات، ومؤابيات، وأمونيات، وآدوميات، وصيداويات، وحثيات.

٩ - وسليمان - عليه السلام - تزوج من مصرية، وكنعانية، وعمانية، ومؤابية[(٦)]، ومع ذلك كان ملكاً محبباً ومدللاً من الله.

ومع وجود الشواهد القاطعة على بطلان هذه النظرية، استطاع عزرا بدهاء الكاهن الماكر أن يجعل ذلك سبباً في غضب الرب، وسبباً في صب اللعنات.

الوقفة الثانية: نظراً لعدم واقعية هذه النظرية العنصرية استمر زواج اليهود والأغيار بعد عزرا، وينتهي الباحثون إلى أن بني إسرائيل اختلطوا بشعوب مختلفة، قبل وبعد كتابة التوراة الحالية، وقد أجمع العلماء والمؤرخون على أن بني إسرائيل قد ذابوا في البيئة المصرية[(٧)]، وامتزج الإسرائيليون مع

---

(١) راجع (الخروج) ٢: ٢١.
(٢) راجع (عدد) ١٢: ١ - ٨.
(٣) راجع (الخروج) ١٨:
(٤) راجع (القضاة) ١٤: ١ - ٩، و١٦: ٤ - ٢٢.
(٥) راجع (إنجيل متى) ١: ٥.
(٦) راجع (ملوك أول) ١١: ١- ٦، و(نحميا) ١٣: ٢٧.
(٧) راجع (تأثر اليهودية بالوثنية) فتحي الزغبي: ص/ ٣٠٣. نقلا عن (مفصل العرب و اليهود في التاريخ) أحمد سوسة: ص/ ٤٨٥.

الكنعانيين في مرحلة متقدمة وتصاهروا معهم حتى لم تعد تفرق بينهم وبين الكنعانيين لا في المنظر الخارجي، ولا في أسلوب الحياة[١]، بل شكل الكنعانيون والإسرائيليون في المناطق الجبلية شعباً واحداً في فترة من الفترات، وهذا ما أصبح محل توافق الكثرة الغالبة من علماء العهد القديم المعاصرين حتى إنه لم يعد في الإمكان إطلاق مصطلح (بني إسرائيل)؛ لأن الزواج استمر بينهم وبين سكان أهل البلاد على جميع المستويات، وفي كثير من الدول كان العنصر السلالي (اليهودي – الفلسطيني) غير ملموس إلا أن المجتمع اليهودي احتفظ بالمميزات الخاصة بالحياة اليهودية، وقد أشار العهد القديم إلى أن كثيراً من الناس تهودوا؛ خشية بطش اليهود،"وكثير من شعوب الأرض تهودوا لأن رعب اليهود وقع عليهم"[٢].

وفي حكم المكابيين بدأ التبشير بالديانة اليهودية، على سبيل المثال تحول بعض أهل الخليل الوثنيين إلى اليهودية قسراً، وبعضهم تحولوا طائعين، وفي فترة من الفترات كثر عدد اليهود في العالم القديم، وكان أكثرهم من الوثنيين الذين تهودوا حديثاً؛ لأن اليونانيين والرومانيين كانوا يعانون من الجدب الروحاني، وقد تهود عدد كبير من العائلات النبيلة في إيطاليا، وكان من أبرز الباحثين اليهود في القرن الثاني الميلادي من أصل وثني الحاخام عقيبا الشهير[٣]، وقد تهود جماعة من أهل اليمن في زمن الملك العربي ذي نؤاس، ويعلم المؤرخون – ومنهم اليهود – أن غالبية اليهود في العالم من أصل خزري، ويُعدُّون أكبر تكتل بشري دخل اليهودية، وهم من العنصر الآري، حيث

---

(١) راجع (القضاة)٣: ٥– ٦، و(تأثر اليهودية بالوثنية) فتحي الزغبي: ص/ ٣٠٤. نقلا من (تاريخ شعب العهد القديم): ص/ ١٨٦.

(٢) (أستير) ٨: ١٧.

(٣) راجع (اليهود و اليهودية في العصور القديمة بين التكوين السياسي وأبدية الشتات) ترجمة وتقديم رشاد الشامي، عن كتاب (السلام في الأرض المقدسة تحليل تاريخي لمشكلة فلسطين) فون باجوتجلوب: ص/ ١٠٧، ١١٠، ١١٦، ١٢٠، ١٦٥، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٥، و(أوهام التاريخ اليهودي) جودت السعيد: ص/٢٥٥– ٢٥٦.

تقع بلاد الخزر جنوب روسيا، جوار مصب نهر الفولغا في بحر قزوين، حيث تم تهودهم إبان حكم هارون الرشيد، وقد عاشت هذه الدولة قرابة خمسمائة سنة، وسيطرت على بلاد واسعة، واعترف البرفوسور (أ. ن، زدياك) أستاذ التاريخ اليهودي في جامعة (تل أبيب) أن يهود الخزر يمثلون الآن الغالبية العظمى من يهود العالم، ومن المعروف: أن الغزو المغولي أدى إلى سقوط مملكة الخزر، وتشتت اليهود، وهاجروا إلى مواطن أكثر أمناً، ويقدر عدد الأشكناز - اليهود غير الساميين - بنسبة ٨٢٪ من يهود العالم.

إن نظرة واحدة إلى كل من هرتزل[(١)] - ذي الملامح الغربية-، وصديقه زانجويل (١٨٦٤- ١٩٢٦م) - الروائي الإنجليزي، والزعيم الصهيوني اليهودي ذي الأنف الطويل، والشبيه بأنوف الزنوج، والشعر الكث الحالك السواد -، تكفي لدحض أي تصور عرقي لليهود[(٢)].

والذي حدّ من انتشار اليهودية وعزوف الناس عنها قديماً: هو أن الذين كانوا يتهودون كانت الطائفة اليهودية تتبناهم على غرار تبني الأبناء والبنات في العائلات في العصور الوسطى الكلاسيكية، بحيث يصبح عضواً في عائلته الجديدة، بعد أن ينكر عائلته القديمة إنكاراً تاماً[(٣)].

---

(١) ثيودور هرتسل(١٨٦٠ - ١٩٠٤م) أحد رجالات اليهود، ولد في هنغاريا (المجر)، وهو مؤسس الحكة الصهيونية، وأول رئيس لمنظمة الصهيونية العالمية، سعى إلى قيام الكيان الصهيوني في فلسطين. راجع(المواثيق و العهود في ممارسات اليهود) جبر الهلول: ص/ ١١٦ - ١٢٠.

(٢) راجع (الصهيونية و العنف) عبد الوهاب المسيري: ص/ ٣٨.

(٣) راجع (اليهود و اليهودية في العصور القديمة بين التكوين السياسي وأبدية الشتات) ترجمة وتقديم رشاد الشامي، عن كتاب (السلام في الأرض المقدسة تحليل تاريخي لمشكلة فلسطين) فون باجوتجلوب: ص/ ١٧٣ - ١٧٤، و(أوهام التاريخ اليهودي) جودت السعيد: ص/ ٢٥٦ - ٢٦٠، و(الدولة والدين في إسرائيل مواجهة أم اتفاق) مركز زائد للتنسيق والمتابعة: ص/ ١٢، و (سفر التاريخ اليهودي) رج عبد الحميد عرابي: صم ٢٨٢ - ٢٩٦، و(الأصوليون اليهود) منى إلياس: ص/ ٧٤ - ٧٩، (تاريخ فلسطين القديم) ظفر الإسلام خان: ص/ ٩ - ١٠.

المبحث الثالث

تاريخ بني إسرائيل

وظَّفَ عزرا التاريخ وما أحدث فيه من تزوير لخدمة هدفه، ونظريته العنصرية، وكان لابد من رفع معنويات شعبه المهزوم من شعوب مختلفة، فنفث في روعهم أنهم سلالة أمة ضاربة جذورها في أعماق التاريخ، فالذي لا يملك تاريخاً لايمكن أن يكون له مستقبل، والتاريخ يشهد لهذا الشعب بالتميز، ونقاء العنصر، والفخار، والمجد، وهو تاريخ لا يقبل الجدال والنقاش، ولايتطرق إليه الشك؛ لأن الذي أوحى به إلههم (يهوه)، لهذا ركز القسم الأكبر من التوراة – سفر التكوين وسفر الخروج وسفر العدد – على تمجيد تاريخ اليهود[١]، وأنهم السلالة النقية، والصفوة المختارة، وما زال الخير ينتقل في أسلافهم دون غيرهم من البشر، ونسبوا إلى أنفسهم بطولات خارقة، وقصص خيالية، وخرافات لا يقبلها العقل السليم، وإن كانت مستساغة عند الوثنيين كصراع الله جل جلاله مع يعقوب – عليه السلام –، مما أدى إلى بروز ظاهرة اللاعقلانية الواضحة في اليهودية، ومن جهة أخرى نجد أن المصادر اليهودية تؤكد رفض اليهودي للأغيار، هذا الموقف التاريخي هو ظاهرة تاريخية حددت – بشكل كبير – حياة اليهود وعلاقتهم مع الآخرين.

وتحتل السلالة مكاناً بارزاً، ومقرراً لمصير الأفراد والشعوب في العهد القديم، وإذا كان من المسلم به في عصرنا انتماء البشر جميعاً إلى أصل واحد فإن نصوص التوراة تعرض نموذجاً بشرياً جديداً بدأ تشكله اعتباراً من نوح – عليه السلام –، هذا التنوع يبدو وكأنه محرك لتاريخ اليهود والعالم، فإسرائيل بمقاومتها للآخر سوف تتعلق إلى الأبد بموقف الرحيم ليهوه، أما الآخر

---

(١) من الغريب حقاً أن التوراة الحالية رغم اهتمامها بالتفصيل المعهود لحياة بني إسرائيل، إلا أنها تتغافل عن تاريخهم رغم أهميته في مصر من الفترة بعد وفاة يوسف –ج حتى مبعث موسى –ج، وتقدر التوراة هذه الفترة ب– ٤٣٠ سنة، ولم أطلع على سبب هذا الإهمال، ولم أجد من بحث هذه المسألة.

فبخضوعه لإسرائيل عندئذ لن يقتل، ولن يباد، فالتنوع البشري الذي توضحه فترة برج بابل، وتشتت الشعوب هو فكرة أساسية في اليهودية، وهذا ما يؤكده أندريه نيهير أحد كبار المفكرين المعاصرين في اليهودية، فالإنسان اليهودي بالنسبة إليه هو على عكس البشرية الحيادية، إنه ليس كالآخرين، إنها النظرية الإلهية التي تجعل من اليهودي شيئاً غير عادي، ليس إنساناً بالمعنى الأرضي، أو بالمعنى التافه للكلمة، إنها تكلله بقداسة مثالية، وبالنسبة لنيهير إن اليهود شعب يقع على حدود الإلهي الإنساني، وهو كاهن ومربي، ونموذج يقع في قمة الهرم الإنساني، وهذه النظرية الاستعلائية الفوقية مقتبسة من التوراة[١].

إن سفر التكوين يعرض خلال ثمان وثلاثين فصلاً، أي ما يعادل أربعة أخماس الكتاب عن السلالة وتاريخ العرق، وصفاء السلالة، وكاتب التوراة يعرض لنا جواباً عن سؤال محير من هو الوريث الشرعي لإبراهيم – عليه السلام –؟ ولماذا تكون الوراثة في ولد دون غيره؟ ولِمَ كانت البركة محصورة في ولد دون غيره؟ في التوراة: البكورية لها المكانة بين الأولاد، وهي ميراث روحي يعطي صاحبه – أياً كان – عدة امتيازات، لعل من أهمها أن يكون مكرساً للرب، ومستودعاً للأسرار الإلهية، ونيابة الابن البكر عن أبيه في البيت عند غيابه، وأن يعطى نصيباً واحداً زائداً عن أخوته[٢]، ومن ثم فالبكر الوريث الشرعي للأب، ولما كان البكر هو الوريث الشرعي فلِمَ تحولت عنه؟ تبين التوراة أن نقاء العرق هو الأساس، ولقد كان صفاء الدم العائلي مهدداً حينما تزوج إبراهيم – عليه السلام – من هاجر، ومنها ولد له إسماعيل – عليه السلام –؟ وطرد هو وأمه إلى صحراء حتى لا يرث إبراهيم– عليه السلام –، ولولا تدخل العناية الإلهية لهلك مع والدته[٣]، وتقول التوراة إنه استبعد من العهد، لا من البركة، وكان لإبراهيم – عليه السلام – أولاد من قيطورة، وهي

---

(١) راجع (اليهودية و الغيرية) ألبيرتو دانزول: ص/ ٣٩ – ٤٠.

(٢) راجع (خروج) ٢٢: ٢٩، و(تثنية) ٢١: ١٧. و(قاموس الكتاب المقدس): ١/ ١٨٧. و(أرض الميعاد بين الحقيقة والأسطورة) محمد بيومي مهران: ص/ ١٤.

(٣) راجع (سفر التكوين) ١٦: ٢، ٢١: ١٤، ٢١: ١٥ – ١٩.

أجنبية – مديانية – وصرفت بدورها مع أولادها شرقاً إلى أرض المشرق وفي حياته[١]؛ ليبقى إسحاق – عليه السلام – هو الوحيد الذي سيرث والده، وأعطاه كل ما كان له[٢]، ويرث بركة إبراهيم – عليه السلام –، ولحسن الطالع يستغل يعقوب حاجة أخيه عيسو إلى الطعام، فيشتري بكوريته في مقابل خبز وطبيخ عدس[٣]، وكان أحق من يعقوب (إسرائيل) – عليه السلام – في أن يرث إسحاق – عليه السلام – باعتباره الابن البكر، ولكونه تزوج من الأغيار فقد استبعد من العهد والبركة، مع أن إسماعيل – عليه السلام – تزوج من الأغيار إلا أنه لم يسلب منه البركة، فما القانون الذي تسير عليه التوراة!؟

وهكذا أصبح إسحاق وريث الوعد الإلهي دون إخوته – مع أن إسماعيل كان أحق منه بذلك؛ لأنه لم يتنازل عن بكوريته –، ثم انحصر الوعد الإلهي في يعقوب (إسرائيل) وذريته، ولكن بعد ضياع أسباط إسرائيل العشرة في الشعوب نجد أن هذا الوعد انحصر في الحقيقة في سبطي يهوذا وبنيامين فقط دون غيرهما، ولم يبين لنا العهد القديم هذا الإقصاء غير المفهوم.

وقد حرص كاتب التوراة أن يظهر – أيضاً – مقابل هذه المكانة الرفيعة لليهود في – التاريخ الاستخفاف والتحقير بجيرانهم في فلسطين، ويظهر ذلك جلياً في إظهار شجرة نسب أجداد الجيران الشرقيين موآب وعمون أنهم نتيجة علاقة زنا بين المحارم بين لوط وابنتيه[٤]، والاستخفاف بأدوم الذين يسكنون الجنوب باعتبارهم من أبناء عيسو الابن البكر لإسحاق – عليه السلام – باعتبار أن البركة نزعت منه، ومن أولاده، وقد أطلق بعد ذلك على الذين قطنوا فلسطين بعد عودتهم من الأسر بأنهم شعوب الأرض[٥]، كشعوب نكرة لا يعرف لها أصل، وهذا ما أدى إلى احتقار اليهودي لغيره عبر التاريخ.

---

(١) راجع (سفر التكوين) ٢٥: ١ – ٥.
(٢) راجع (تكوين) ٢٥: ٥.
(٣) راجع (تكوبن) ٢٧: ١١ – ٤٠. ٢٥: ٢٩ – ٣٣.
(٤) راجع (التكوين) ١٩: ٣٠ – ٣٨.
(٥) راجع (عزرا) ١٠: ٢، ١١.

ويخلص القارئ إلى أن "شعب إسرائيل هو الممثل المركزي في هذه الدراما، وهكذا يعود تقرير مصير العالم لشعب إسرائيل، ومن خلالهم، لكُلِّ قُراء الكتاب المقدس العبري"[1]، وقد عبر الدكتور حسن ظاظا عن تلاعب اليهود في تدوين تاريخهم أحسن تعبير حين، قال: "والذي يدعونا إلى إطلاق صيحتنا مطالبين بدرس أوسع، وأعمق لتاريخ العبريين، هو أنهم الأمة الوحيدة تقريباً التي كتبت تاريخها بيدها، وبحسب هواها، ثم زعمت أن ذلك التاريخ أنزل من السماء، وأنه فوق الجدل والنقاش، وهم عندما كتبوا تاريخهم هذا أغاروا على المأثورات الشعبية للأمم القديمة التي عرفوها، وأضافوا إليها من بقايا الفولكور الذي حفظته ذاكرتهم منذ بداوتهم الأولى، فنسجوا من ذلك كله أسطورة اختلطت فيها حكمة الحكماء، وشرائع الأنبياء، بحكايات الأبطال الخرافيين، وترجمات تكاد تكون حرفية لملاحم من أمم أقدم منهم"[2].

لابد من وقفات أمام تاريخ هذا الشعب :

الوقفة الأولى: من الملاحظ أن تاريخ اليهود بعد عزرا يشهد أنه أغلبه مَهْجَرٌ رغم تمنياتهم بالعودة إلى أرض إسرائيل؛ ليكونوا أسياداً، وتعلموا من هذا التاريخ "أن السيادة اليهودية، والحياة اليهودية في أرض إسرائيل لاتشكلان ضمانة لبقاء الوجود اليهودي، ولذلك فهم يفضلون البقاء المصحوب بالاختيار... خارج أرض إسرائيل"[3]، ومع ذلك كما يقول هرتزل ظل اليهود على مرِّ السنين يتعذر اندماجهم في المجتمعات[4]، وظل اليهود يكرسون في ذاكرة هذا الشعب أنه شعب الله المختار ويجب أن يتميز عن الآخرين، وهذا ما جعله لايندمج في المجتمعات التي يعيش فيها، وقد لفقوا أساطير لتكريس

---

(١) (التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها) إسرائيل فنكلشتاين، ونيل أشر سيلبرمان: ص/ ٣٢.

(٢) (أبحاث في اليهودية و الصهيونية) أحمد سوسة: ص / ٢٨. نقلاً عن (الساميون ولغاتهم) حسن ظاظا: ص / ٧٦ – ٧٨.

(٣) (دولة إسرائيل زائلة) يعقوب شريت: ص/ ١٢٧.

(٤) راجع (المواثيق و العهود في ممارسات اليهود) جبر الهلول: ص/ ١٢٣.

العزلة في ذاكرة الشعب، من ذلك (أسطورة ماسادا) التي نسج حولها أقصى درجات الإجلال والتقديس، ورفعوها إلى قمة المثالية والتضحية لهذا الشعب الذي فضل الموت على العيش مع غيره، والاندماج فيهم، وتنظم السلطات المختصة في فلسطين المحتلة لزيارة الماسادا مع شرح تاريخي عنها[١]، بهذه العزلة الاختيارية عن جميع الأمم جلبوا لأنفسهم كراهية الجميع[٢].

الوقفة الثانية: كان العهد القديم يُعَدُّ حتى بداية القرن التاسع عشر المرجع الأول والأساس لتاريخ الشرق الأدنى القديم كله، ولكن مع الطفرة الهائلة التي تمت في ميدان الحفائر والاكتشافات الأثرية في هذه المنطقة، وبفضل النجاح في قراءة كتابات قديمة بدأت أضواء علمية جديدة وتاريخية – جديرة بالاعتبار– أميط اللثام عن فترات مهمة من تاريخ المنطقة، ومن هنا أحس الباحثون على اختلاف نزعاتهم ومللهم، وعقائدهم، بضرورة إعادة النظر في كل المرويات الإسرائيلية التي كانت المعتمد الوحيد المسلم به بدون مناقشة على مدى أجيال[٣]، وتوصل بعض الباحثين إلى أن التوراة قصص تاريخية وبسبب انتقالها كمرويات شفوية غير ثابتة مع الزمن تحولت إلى قصص خيالية، أي أسطورة، أو أنها أسطورة تحولت مع الزمن إلى تاريخ، ومن ثم شككوا في

---

(١) ماسادا كانت قلعة ضمن ثلاث قلاع كانت تشكل القلاع الأخيرة التي التجأ إليها اليهود، وكان الهجوم الروماني عليها جميعاً فسقطت القلعة الأولى، واستسلمت الثانية بعد أن وعدهم الرومان بالسلام والأمان، أما قلعة ماسادا فلم تستسلم وأمر اليعازر قائد اليهودالمحاصرين بقتل الأطفال ثم الزوجات ثم يقتل الواحد تلو الآخر، وحرق القلعة، فخلد اليهود الماسادا، واعتبروها إحدى الومضات المضيئة في تاريخ اليهود بينما غيبوا القلعتين السابقتين في أعماق النسيان، وقد كتبت الباحثة اليهودية ويبسي روز مارين في جريدة (جويش بوست) دراسة طويلة ختمتها بقولها: إن الماسادا محض خرافة، وأسطورة. راجع (الأصوليون اليهود) منى إلياس: ص/ ١٨٣ – ١٨٩.

(٢) راجع (رسالة في اللاهوت والسياسة) سبينوزا: ص/ ١٨٨.

(٣) راجع (بابل والكتاب المقدس) جان بوتيرو: ص/ ١٢٧، ٢٣٦ – ٢٤٠، و(الفكر الديني اليهودي) حسن ظاظا: ص/ ٩ –١٠، و(سفر التاريخ اليهودي) رجا عبد الحميد عرابي: ص/ ٤٠. و(التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها) إسرائيل فنكشتاين، ونيل أشر سيلبرمان: ص/ ٢٨.

جميع مرويات التوراة، ودعوا إلى عدم الاعتداد بأي رواية منها ما لم تؤكدها بيِّنة أخرى(١).

ومن هنا يرى العالم التوراتي الألماني (يُوليُوس فيلهاوزُن) إلى أنه يجب النظر القصص التوراتية كأساطير وطنية، لا يزيد أساسها التاريخي على الأساس التاريخي لأسفار (أوديسُوس) في ملحمة (هُوميرُوس)، أو قصة تأسيس (أينياس) لمدينة روما في ملحمة (فيرجيل)، وتحدى العالمان التوراتيان الأمريكيان (جون فان سيتر) و(توماس طومسن) الدلائل الآثارية في إثبات زمن وجود الآباء التاريخيين في الآلفية الثانية ق.م(٢)، وقد اعترف بهذه الحقيقة بعض علماء اليهود أمثال فرويد حيث قال: "إن التوراة تحتوي على مادة تاريخية مشكوك في صحتها، فقد شوهت لأغراض معينة، وتأثرت بالخيال الشعري، بحيث لايمكن أن يؤخذ ما جاء فيها على أنه حقيقة تاريخية"(٣).

الوقفة الثالثة: ماجاء في التوارة من وعود، وما بنو على ذلك من نتائج لا تنطبق مع الواقع، فالله عز وجل بارك في إسحاق – عليه السلام –، "وأكثر نسلك كنجوم السماء، وأعطي نسلك جميع هذه البلاد، وتتبارك في نسلك جميع أمم الأرض"(٤)، نقول أين نسل إسحاق – عليه السلام – الذي بعدد نجوم السماء.

اليهود الحاليون – يعدُّون أنفسهم من نسله مع كون الأغلبية ليسوا من نسله – يعدون قلة في الأرض، ثم أين البركة التي ستعم على أمم الأرض وهم

---

(١) راجع (التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي) توماس ل.طومسون: ص/ ١٢ – ١٤، ٨٢– ٨٣، و (مقدمة هل يمكن كتابة تاريخ لأورشليم وفلسطين) توماس ل. طومسون، مقالة ضمن كتاب (القدس أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ) تحرير توماس ل.طومسون: ص/ ٢٣. يقول أحد الباحثين: إن "تاريخ اليهود القديم – التوراة – أسطوري وقد أعيد وضعه من وجهة نظر فريسية" (الإسلام في مواجهة الاستشراق) عبد العظيم المطعني: ص/ ٥٥.

(٢) راجع (التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها) إسرائيل فنكلشتاين، ونيل أشر سيلبرمان: ص/ ٦٦.

(٣) (إسرائيل ماذا تقول الوقائع.. والكتب) نعمات أحمد فؤاد: ص/ ٧.

(٤) (تكوين) ٢٦: ٤.

أمة تتبنى نظرية نقاء العرق، والحق أن نسل إسحاق – عليه السلام – اندمجوا في شعوب المنطقة، حتى لا نجد في هذه المنطقة شعباً واحداً بعرق صافٍ، فقد وحَّد بينهم الإسلام، وجعلهم أمة واحدة مباركة.

الوقفة الرابعة: إبراهيم – عليه السلام – ليس شخصية يهودية حتى يتباهوا به، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]، بل هو شخصية عالمية عمت بركته الأمم، وأحق الناس به هم الذين اتبعوه، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨].

وعلى هذا فتاريخ الآباء الذي يتباهى به اليهود الأَوْلَى أن يتباهى به المسلمون وليس اليهود، وبنص التوراة فإن إسماعيل مبارك، وذريته مباركة، وقد حازوا شرف الرئاسة والفخار، "وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ها أنا أباركه، وأثمره، وأكثره كثيراً جداً، اثنى عشر رئيساً يلد، وأجعله أمة كبيرة"(١)، كما أن والدته قد بشرت به، وبنسل يملك على الأمم والشعوب، ويصبح أمة عظيمة(٢)، لقد فسرت التوراة البركة بأنها تعني أمماً وملوكاً على الشعوب، من نسل إسماعيل وإسحاق – عليهما السلام –، وقد بارك الله في ذرية إبراهيم – عليه السلام – وجعل فيها النبوة والكتاب، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

فكما كان من ذرية إسحاق – عليه السلام – النبوة والكتاب كان من ذرية إسماعيل النبوة والكتاب، وقد أشارت إلى ذلك البشارات في التوراة(٣)، وأيوب كان نبياً ولم يكن من نسل يعقوب – عليه السلام –، وله سفر في العهد

---

(١) (تكوين) ١٧: ٢٠.
(٢) راجع (تكوين) ١٦: ٧ – ١٢. و ٢١: ١٧ – ١٨.
(٣) راجع (البداية النهاية لأمة بني إسرائيل) أحمد حجازي السقا: ص / ٧٠ – ٨٢.

القديم، فلِمَ تُقتصر النبوة وعبادة الله – إذاً – في بني إسرائيل؟ ولِمَ يختلقون الأكاذيب ويدعون أنهم هم الذين عرَّفوا الناس بالله، وقد أرسل الله لكل أمة رسولاً؟ ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، فإبراهيم – عليه السلام – حين قدم أرض كنعان باركه ملكيصادق الذي كان كاهناً لله العلي، وكان يعبد الله وحده لاشريك له[١]، ويذهب سبينوزا إلى قريب ما يقرره الإسلام، فيرى أن التوراة قد وضعها الله للعبرانيين وحدهم، ولم يتميزوا عن باقي الأمم بالعلم والتقوى، ووجدت لديهم معتقدات فجة، وأن الله قد شرع لغيرهم قوانين؛ بدليل أن إبراهيم حين قدم أورشليم أن ملكيصادق كان ملكاً على أورشليم وحبر الله تعالى، وأن إبراهيم خليل الله أعطاه عُشر غنيمته، وهذا يعني بوضوح أن الله قبل أن يؤسس الأمة الإسرائيلية نصب ملوكاً وأحباراً على أورشليم، ووضع لهم شعائر وقوانين، وأن إبراهيم عَبَدَ الله وفق قوانين التي وضعها ملكيصادق[٢]، وأن هبة النبوة لم تكن قاصرة على العبرانيين، وأن الشرائع أوحيت للجميع على حد سواء، ودلل لذلك بأيوب – عليه السلام –، وأن الله يرعى جميع الناس بقدر متساوٍ[٣].

الوقفة السادسة: تاريخ بني إسرائيل بقدر ما فيه من فترات مضيئة ومشرقة فيه – أيضاً – وبمساحة أكبر فترات الظلام، من قتل للأنبياء، وعبادة الأصنام، وعمل الموبقات، وبخاصة تاريخ اليهود منهم، وبنصِّ العهد القديم كما مرَّ بنا في مواضع.

الوقفة السابعة: خلال دراسة تاريخ المنطقة لا تُعَدُّ مملكة اليهود "سوى حادث طارئ في تاريخ مصر، وسورية، وآشور، وفينيقية، ذلك التاريخ الذي هو أكبر وأعظم من تاريخهم"[٤]، ولم يكن امتلاكهم لفلسطين يوماً من الأيام كاملاً، والحفريات التي عثر عليها من آثار العصر اليهودي تدل على أنهم كانوا بدائيين

---

(١) (تكوين) ١٤: ١٧ – ٢٠.
(٢) (تكوين) ٢٦: ٥.
(٣) راجع (رسالة في اللاهوت والسياسة) سبينوزا: ص / ١٧٢ – ١٨٥.
(٤) هذه مقولة هـ.ج. ولز (تاريخ فلسطين القديم) ظفر الإسلام خان: ص/ ٩٧.

جداً، وبسطاء، ولا يوجد لديهم شيء من الفنون الرفيعة، وما كان لديهم من صناعة تنكر، ولا نشاط تجاري على غرار عديد من الشعوب القديمة، ومن الغريب أنهم لم يقتبسوا من الشعوب سوى أخسِّ ما في حضارتها، أي لم يقتبسوا غير عيوبها، وعاداتها السيئة، ودعارتها، وخرافاتها، فقربوا لجميع آلهة آسيا[١].

المبحث الرابع
أرض الميعاد والتطهير العرقي

لما كان هذا الشعب بهذه المواصفات كان لا بد أن يمتلك أقدس أرض، وقد حدد لهم إلههم يهوه فلسطين دولة أبدية بوثيقة مقدسة لا يمكن التهاون فيها ولا التنازل عنها، ولا المساومة، فهذه الأرض أعطيت لإبراهيم – عليه السلام – ، ولأجل ذلك يؤمر بترك أرضه والتوجه إلى أرض كنعان، ويظهر الرب له وكان اسمه في ذلك الوقت أبرام، فيعطى الأرض له، ولذريته[٢]، "قال الرب لأبرام... ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً، وجنوباً، وشرقاً، وغرباً؛ لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أُعطيها ولنسلك إلى الأبد"[٣]، "وقال له: أنا الرب الذي أخرجك من أورالكلدانيين؛ ليعطيك هذه الأرض، لترثها... في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلاً: لنسلك أُعطي هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات"[٤]، ويشكو إبراهيم – عليه السلام – إلى ربه أنه ليس له وارث من صلبه، وأن الذي سيرثه هو أمين داره، "فقال: أبرام أيها السيد الرب ماذا تعطيني وأنا ماضٍ عقيماً، ومالك بيتي هو أليعازر الدمشقي، وقال أبرام أيضاً: إنك لم تعطني نسلاً، وهوذا ابن بيتي وارث لي، فإذا كلام الرب إليه قائلاً: لا يرثك هذا، بل الذي يخرج من أحشائك هو يرثك، ثم أخرجه

---

(١) (تاريخ فلسطين القديم) ظفر الإسلام خان: ص/ ٤٩، ١٠٣ – ١٢٦.
(٢) راجع (تكوين) ١٢/ ١– ٧.
(٣) (الخروج) ١٣: ١٤ – ١٥.
(٤) (تكوين) ١٥: ٨ – ١٨.

إلى خارج، وقال انظر إلى السماء، وعد النجوم إن استطعت أن تعدها، وقال له هكذا يكون نسلك"(١)، ويقطع الله العهد مع أبرام - الذي تحول اسمه إلى إبراهيم، بعد أن رزق بإسماعيل - على أن يكون أباً لأمم كثيرة، "وقال له: أنا الله القدير سرْ أمامي، وكن كاملاً، فأجعل عهدي بيني وبينك، وأكثرك كثيراً جداً... وأقيم عهدي بيني وبينك، وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً، لأكون إلهاً لك، ولنسلك من بعدك، وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً، وأكون إلههم"(٢)، وهذا يعني أن إسماعيل - عليه السلام - هو وريث هذا الوعد؛ "لأن إسحاق - جد بني إسرائيل - لم يكن قد ولد حين عقد هذا العهد بين الله تعالى وإبراهيم، وبذا لم يكن لإبراهيم من ذرية وقت ذاك سوى إسماعيل، بل إن إسحاق - حتى هذا المرحلة - لم يكن حتى (الابن الموعود) فضلاً عن أن يكون (الابن الموجود)"(٣).

ويظهر - والله أعلم - أن عزرا بعد ذلك عدَّل هذا الوعد ليكون محصوراً في إسحاق - عليه السلام -، ودون أن يسلب البركة من إسماعيل الابن البكر، " قال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك، فقال: الله بل سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحاق، وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده، وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه، وأثمره، وأكثره كثيراً جداً اثني عشر رئيساً يلد، وأجعله أمة كبيرة"(٤)، ومن البدهي أن التوراة حرمت من الوعد كذلك أبناء إبراهيم من (قطورة) الكنعانية(٥).

ثم أُقْصي عيسو الابن البكر لإسحاق - عليه السلام - من هذا الوعد وحصر في يعقوب - عليه السلام - وبنيه؛ لكونهم الورثة الشرعيين من دون

---

(١) (تكوين) ١٥:٢- ٥.
(٢) (تكوين) ١٧: ٢- ٨.
(٣) (أرض الميعاد بين الحقيقة والأسطورة) محمد بيومي مهران: ص/ ٩.
(٤) (تكوين) ١٧: ١٨- ٢٠.
(٥) أولاد إبراهيم -ج من قطورة هم: زمران، وبقشان، ومدان، ومديان، ويشباق، وشوحا (تكوين) ٢٥: ١-٢.

غيرهم من أولاد إبراهيم – عليه السلام –، "والأرض التي أعطيت إبراهيم وإسحاق لك أعطيها، ولنسلك من بعدك أعطي الأرض"[١]، هذه الأرض مملكة الله المقدسة، أو هي المعبد، وهم كهنة المعبد، "أما موسى فصعد إلى الله، فناداه الرب من الجبل قائلاً: هكذا تقول لبيت يعقوب، وتخبر بني إسرائيل: أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين، وأنا حملتكم على أجنحة النسور، وجئت بكم إليَّ، فالآن إن سمعتم لصوتي، وحفظتم عهدي، تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب، فإن لي كل الأرض، وأنتم تكونون لي مملكة كهنة، وأمة مقدسة"[٢]، وتذكر التوراة أن موسى – عليه السلام – تلقى هذا الوعد من الله بامتلاك الأرض ست مرات دون أن تستقر على حدود ثابتة[٣]: "ثم كلم الله موسى وقال له: أنا الرب، وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بأني الإله القادر على كل شيء، وأما باسمي يهوه فلم أعرف عندهم، وأيضاً أقمت معهم عهدي أن أعطيهم أرض كنعان"[٤].

وقد حدد يهوه الأرض التي وهبها لبني إسرائيل، لكن النصوص الواردة في هذا الشأن تختلف اختلافاً بيناً فيما بينها في تحديد حدود تلك الأرض، فنجد أن الرب قد حدد لإبراهيم – عليه السلام – في ثلاث نصوص تختلف كل منها عن الأخرى، فحدود أرضهم غير ثابتة، فقد منح إبراهيم – عليه السلام – أرضاً بمقدار رؤيته في الاتجاهات الأربعة[٥]، وفي الوعد الآخر وُسِّعت مساحة الأرض لتشمل كل أرض كنعان[٦]، وفي نص آخر نجد أن مساحتها تتسع فتشمل من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات[٧]، ويحدد لموسى – عليه السلام –

(١) (تكوين) ٣٥: ١٢.
(٢) (الخروج) ١٩: ٣ – ٦.
(٣) راجع (المواثيق والعهود في ممارسة اليهود) جبر الهلول: ص/ ٨٧.
(٤) (الخروج) ٦: ٢– ٩. و راجع (الخروج) ٢٣: ٣١. و(العدد) ٣٤: ١ – ١٢.
(٥) راجع (تكوين) ١٣: ١٤– ١٥.
(٦) راجع (تكوين) ١٧: ٨.
(٧) راجع (تكوين) ١٥: ١٨.

الأرض، فقد حدد له أرض كنعان[١]، ثم يوسع الأرض؛ لتشمل ما بين النيل والفرات بنصين: الأول في (سفر الخروج) وبشكل مختصر[٢]، بينما الآخر في (سفر العدد) وبشكل مفصل، "وكلم الرب موسى قائلاً أوص بني إسرائيل، وقل لهم: إنكم داخلون إلى أرض كنعان هذه هي الأرض التي تقع لكم نصيباً، أرض كنعان بتخومها، تكون لكم ناحية الجنوب من برية صين[٣] على جانب أدوم[٤]، ويكون لكم تخم الجنوب من طرف بحر الملح[٥] إلى الشرق، ويدور لكم التخم من جنوب عقبة عقربيم[٦]، ويعبر إلى صنين وتكون مخارجه من جنوب قادش برنيع[٧]، ويخرج إلى حصر أدَّار[٨]، ويعبر إلى عصمون[٩]، ثم يدور التخم من عصمون إلى وادي مصر، وتكون مخارجه عند البحر، وأما تخم الغرب فيكون البحر الكبير[١٠] لكم تخماً، هذا يكون لكم تخم الغرب، وهذا يكون لكم تخم الشمال من البحر الكبير ترسمون لكم إلى جبل هور[١١]، ومن جبل هور

---

(١) (الخروج) ٦: ٤.

(٢) (الخروج) ٢٣: ٣١.

(٣) برية صين: عبرها بنو إسرائيل في طريقهم إلى كنعان، وكانت على التخوم الجنوبية من تلك الأرض. (قاموس الكتاب المقدس) ص/ ٥٦٧.

(٤) أدوم: الأقليم الذي كان يسكنه أبناء عيسو وهو أقليم جبلي وعر يمتد الأقليم مسافة مائة ميل بين البحر الميت وخليج العقبة. راجع (قاموس الكتاب المقدس) ص/ ٣٩.

(٥) بحر الملح: البحر الميت. راجع (قاوس الكتاب المقدس) ص/ ١٦٤.

(٦) عقبة عقربيم: جرف من الجبل يفصل غور البحر الميت عن فلسطين الجنوبية على الطرف الجنوبي من البحر. (قاموس الكتاب المقدس) ص/ ٦٣٣.

(٧) قادش برنيع: قادش معناه (مقدس)، وهو عين الماء الذي انفجر من الصخرة حين ضربها موسى -ج بالعصا. راجع (قاموس الكتاب المقدس) ص/ ٧٠٨.

(٨) حصر أدَّار: كلمة عبرية ربما معناها (الرحب، أو العظمة) اسم مدينة على حدود يهوذا الجنوبية. راجع (قاموس الكتاب المقدس) ص/ ٣٨.

(٩) عصمون: مكان في القسم الجنوبي من فلسطين، باتجاه حدود سناء. (القاموس المقدس): ص/ ٦٣١.

(١٠) البحر الكبير: هو البحر الأبيض المتوسط. راجع (قاموس الكتاب المقدس): ص/ ١٦٤.

(١١) جبل هور: جبل عند حدود بلاد أدوم. راجع (قاموس الكتاب المقدس) ص/ ١٠٠٤.

ترسمون إلى مدخل حماة، وتكون مخارج التخم إلى صدد[١]، ثم يخرج التخم إلى زفرون[٢]، وتكون مخارجه عند حصر عينان[٣]، هذا يكون لكم تخم الشمال، وترسمون لكم تخماً إلى الشرق من حصر عينان إلى شفام[٤]، وينحدر التخم من شفام إلى ربلة[٥] شرقي عينٍ، ثم ينحدر التخم ويمس جانب بحر كنَّارة[٦] إلى الشرق، ثم ينحدر التخم إلى الأردن، وتكون مخارجه عند بحر الملح، هذه تكون لكم الأرض بتخومها حواليها"[٧].

والباحث يجد "عهوداً لخمسة عشر نبياً بامتلاك فلسطين، بل وأوسع منها وهو ما يسمونه بأرض الميعاد، وقد ابتدأ هذه العهود بإبراهيم – عليه السلام – قبل ٤٠٠٠ سنة تقريباً وانتهاءً بملاخي قبل ٢٤٠٠ سنة تقريباً خلال أكثر من ١٥٠٠سنة"[٨]، إذاً فهناك رباط مقدس بين هذا الشعب وهذه الأرض، يقول الحاخام ميمون فيشمان[٩]: "إن الرباط بين إسرائيل وأرضها ليس كالرباط

---

(١) صدد: معناه جانب الجبل، وهو موقع على الحدود الشمالية لكنعان. راجع (قاموس الكتاب المقدس) ص/ ٥٣٨.

(٢) زفرون: وهو اسم مدينة واقعة على التخم الشمالي لأملاك بني إسرائيل. راجع (قاموس الكتاب المقدس) ص/ ٤٢٦.

(٣) حصر عينان: اسم عبري معناه (قرية العيون، أو قرية الينابيع) قرية على حدود فلسطين الشمالية. راجع (قاموس الكتاب المقدس) ص/ ٣١٠.

(٤) شفام: بلدة في الشمال الشرقي من كنعان بجوار الربلة: راجع (قاموس الكتاب المقدس) ص/ ٥١٢.

(٥) ربلة: مدينة في أرض حماة. راجع (قاموس الكتاب المقدس) ص/ ٣٩٨.

(٦) بحر كنَّارة: ويطلق عليه بحر الجليل، والاسم المشهور بين العرب بحر طبرية. راجع (قاموس الكتاب المقدس) ص/ ٢٦٦.

(٧) (العدد) ٣٤: ١ – ١٢.

(٨) (الوسيط في علم الأديان) عابد الهاشمي: ١/٣٠٣.

(٩) الحاخام ميمون فيشان عُيِّن كأول وزير للأديان ومتضرري الحرب في الحكومة المؤقتة التي تكونت في ١٤ مايو ١٩٤٨م، وأيضاً في الحكومة الأولى التي فازت بثقة الكنيست في ١٠ مارس ١٩٤٩م، وقد تغير اسمه إلى يهودا فيشمان، وكان زعيماً لحزب مزراحي. راجع (الدولة والدين في إسرائيل مواجهة أم اتفاق) مركز زائد للتنسيق والمتابعة: ص/ ٧٣.

الذي يشد سائر الأمم إلى بلادها، فهو لدى تلك الأمم – وفي أجلى مظاهره – رباط سياسي، علماني، خارجي ومؤقت، بينما الرباط بين الشعب اليهودي وبلاده يعود إلى سر خفي من القداسة، فالشعب والأرض قد أُنعم عليهما بنعم القداسة، حتى في أزمنة التخريب، والرباط الذي يجمعهما رباط من عند السماء"[١]، فالأرض المقدسة معبد، وهم كهنته، "فإن لي كل الأرض، وأنتم تكونون لي مملكة كهنةٍ، وأمةً مقدسةً"[٢]، وهم "شعب مقدس للرب"[٣].

يقول ألبيرتو دانزول[٤]: "الأرض المقدسة هي المعبد... وإسرائيل فقط – شعب الكهنة – يمكن لها أن تقطن فيها، وعندما وصلوا إلى هذا الحرم المقدس سمع الإسرائيليون أقوالاً تأمر بإبادة الشعوب التي تدنسه"[٥]، ومن هنا لا ينبغي لغير اليهود أن يستقروا في هذه المملكة المقدسة، وكل من يسكن هذه الأرض المقدسة فهو مهدور الدم، بل قتله من أعظم القربات، ومن هنا يرى بعض الباحثين أن (الأرض) ربما كانت الفكرة الأساسية في الإيمان التوراتي[٦].

يقول (ألبيرتو دانزول): "إن الشعوب تمتلك طبيعة ثابتة، هذه الطبيعة تتحكم بالعلاقات بين الأمم، وتوجه أفعالهم ومصيرهم، وبما أن إسرائيل وصفت هذه الطبيعة، وحددت ثباتها، ورسختها بالبرهان السُّلالي فهي سوف تستطيع أن تقوم بالإبادة الكاملة للشعوب الكنعانية على طريقة استئصال الشر، وبكل ضمير مرتاح"[٧]، ولن تشعر بأية وخزة ضمير حيال الأغيار؛ لأنهم ليسوا بشراً بل حيوانات، وستكون هذه الإبادة الجماعية مبرراً مادام يحقق الغرض

---

(١) (الدولة والدين في إسرائيل مواجهة أم اتفاق) مركز زائد للتنسيق والمتابعة: ص/ ١٤.

(٢) (الخروج) ١٩: ٦.

(٣) (تثنية) ٧: ٦.

(٤) ألبيرتو دانزول كاتب فرنسي ذو خلفية ثقافية علمانية.

(٥) (اليهودية والغيرية) ألبير تودانزول: ص/ ٦٧.

(٦) راجع (قراءة أخلاقية للكتاب المقدس) مايكل بريور، مقالة ضمن كتاب (القدس أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ) تحرير توملس لطومبسون: ص/ ٦١.

(٧) (اليهودية والغيرية) ألبيرتودانزول: ص/ ٦٢.

المنشود، وهذه الإبادة هي مكافأة من الرب لهم "وإذا أدخلك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت صائر إليها لترثها .. واستأصل - يعني الرب - أمماً كثيرة من أمام وجهك... وأسلمهم الرب إلهك بين يديك، وضربتهم فأبسلهم إبسالاً، لا تقطع معهم عهداً، ولا تأخذك بهم رأفة، بل كذا تصنعون بهم: تنقضون مذابحهم، وتكسرون أنصابهم، وتقطعون غاباتهم، إنك شعب مقدس للرب إلهك، وإياك اصطفى الرب إلهك، أن تكون له أمة خاصة من جميع الأمم التي على الأرض"[١]، "ولكن إن سمعت لصوته، وفعلت كلَّ ما أكلم به، أعادي أعداءك، وأضايق مضايقك، فإن ملاكي يسير أمامك ويجئ بك إلى الأموريين، والحثيين، والفرزيين، والكنعانيين، والحوبيين، واليبوسيين فأبيدهم"[٢]، وفي عهد موسى - عليه السلام - تم إبادة الأموريين في حشبون حتى لم يبق منهم حي[٣]، ففلسطين أرض مقدسة، ومعبد لإسرائيل، ولا يجوز أن يقطنها أحد سواهم، وعلى هذا فإن التطهير العرقي يتم بأمر إلهي مقدس، ووفق مصلحة إسرائيل وبالتدرج، لا دفعة واحدة حتى لا يتضرر هذا الشعب، "أرسل هيبتي أمامك، وأزعج جميع الشعوب الذين تأتي عليهم، وأعطيك جميع أعدائك مدبرين، وأرسل أمامك الزنابير فتطرد الحوبين، والكنعانيين، والحثيين من أمامك، لا أطردهم من أمامك في سنة واحدة لئلا تصير الأرض خربة فتكثر عليك وحوش البرية، قليلاً قليلا أطردهم من أمامك إلى أن تثمر وتملك الأرض، وأجعل تخمك من بحر سوف إلى بحر فلسطين، ومن البرية إلى النهر، فإني أدفع إلى أيديكم سكان الأرض فتطردهم من أمامك، لا تقطع معهم ولا مع آلهتهم عهداً، لا يسكنون في أرضك"[٤]، وتزعم التوراة المحرفة أن موسى - عليه السلام - قام بالتطهير العرقي تنفيذا لأمر تلقاه من إله بني إسرائيل: "الآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال، وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر فاقتلوها، لكن جميع الأطفال من النساء

---

(١) (تثنية) ٧: ١.
(٢) (خروج) ٢٣: ٢٢ - ٢٣.
(٣) راجع (العدد) ٢١: ٣٥.
(٤) (خروج) ٣٣: ٢٧.

اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيات"[١]، ووفق هذه التشريعات قام يشوع بالتطهير العرقي والإبادة الجماعية في أريحا، "وأخذوا المدينة، وحرموا كل ما في المدينة من رجل، وامرأة وطفل، وشيخ، وحتى البقر، والحمير بحد السيف"[٢]، ثم تمضي الأسفار لتحدثنا عن عمليات الإبادة المقدسة (الهولوكوست) التي ارتكبت باسم يهوه في مدن فلسطين[٣]، ثم استمر ارتكاب هذه الجرائم البشعة ودون رحمة في مدن شرق الأردن، وسكان الجبل من لبنان بأمر يهوه[٤]، وبقاء الشعوب الأخرى مرهون بمصلحة إسرائيل، وخضوعهم لبني إسرائيل، فتحول الغابانيون إلى عبيد لبني إسرائيل اتقاء الموت، فدعاهم يشوع وكلمهم قائلا: "لماذا خدعتمونا قائلين نحن بعيدين عنكم جداً، وأنتم ساكنون في وسطنا، فالآن ملعونون أنتم فلا ينقطع منكم العبيد، ومحتطبو الحطب، ومستقو الماء لبيت إلهي، فأجابوا يشوع وقالوا: أخبر عبيدك إخباراً بما أمر به الرب إلهك موسى عبده أن يعطيكم كل الأرض، ويبيد جميع سكان الأرض من أمامكم فخفنا جداً على أنفسنا من قبلكم ففعلنا هذا الأمر، والآن فهو ذا بيدك فافعل بنا ما هو صالح وحق في عينيك أن نعمل، ففعل بهم هكذا، وأنقذهم من يد بني إسرائيل فلم يقتلوهم، وجعلهم يشوع في ذلك اليوم محتطبي حطب، ومستقي ماء للجماعة ولمذبح الرب إلى هذا اليوم في المكان الذي يختاره"[٥].

فكلّ ما فعله أنبياء بني إسرائيل من تطهير عرقي هو بأمر من يهوه "رب الجنود، ورجل الحرب، إله إسرائيل القاسي الظالم المتوحش كما تصوره توراة اليهود، غرز في نفوسهم غريزة البطش والإرهاب، والقسوة، والهمجية"[٦]،

---

(١) (العدد) ٣١: ١٧- ١٨.
(٢) (يشوع) ٦: ٢١.
(٣) راجع (يشوع) ١٠: ٣٤ - ٤٣.
(٤) راجع (يشوع) الإصحاح الثاني عشر والثالث عشر.
(٥) (يشوع) ٩: ٢٢ - ٢٧.
(٦) (جذور البلاء) عبد الله التل: ص/ ٢٦.

ومن هنا فإن كل القسوة والوحشية في التعامل مع الأغيار في تاريخ اليهود يصوره العهد القديم على أنها من أعظم القربات، جاء في سفر صموئيل الأول أن الرب طلب من شاؤل ملك إسرائيل تدمير العماليق، وتدمير مواشيهم، وهدم بيوتهم، والقضاء على كل ذراريهم، ومشى شاؤل بجيش كبير حتى حاصرهم في سيناء، وانتصر عليهم، وقبض على ملكهم أجاج، وأهلك هذا الشعب كله، ودمر مملكتهم، ولم يبق إلا جيد الغنم والبقر ليقدم ذبيحة للرب، ولكن يهوى غضب من ذلك، وقال له صاموئيل: استماع كلام الرب أفضل من الذبيحة، والطاعة أفضل من شحم الكباش، ويندم شاؤل على هذا ويقتل أجاج الذي كان أسيراً، ويهلك ما كان قد احتفظ به من الأنعام[١]، وارتُكِبَتْ مجازرُ بشعة خلال تاريخ بني إسرائيل باسم الرب - كما جاء في العهد القديم - يَشِيبُ من هولها الولدان[٢].

يقول ول ديورانت عن القسوة التي ليس لها ما يبررها سوى الحقد على الإنسانية: "ولسنا نعرف في تاريخ الحروب مثل هذا الإسراف في القتل والاستمتاع به، ومثل هذه السهولة في تعداد القتلى إلا في تاريخ الأشوريين"[٣]، وتتنافس قصص الحروب المقدسة في تقديم أقسى المشاهد وحشية، ومن هنا نستطيع القول إن الفكر اليهودي يؤمن بالقوة، ويدعو إلى الاستخدام المفرط لها اتجاه الأغيار، حتى يحقق اليهود مطامعهم، ويتحكموا في العالم؛ لأنهم قلة، وتعَدُّ التوراة هي التي أرست مقولة "إن التوراة والسيف أنزلا من السماء سوية"[٤]، في الفكر اليهودي.

وما زال اليهود إلى يومنا هذا ينظرون إلى فلسطين على أنها موطنهم بوثيقة

---

(١) (سفر صاموئيل) الإصحاح الخامس عشر.

(٢) راجع المجازر التي ارتكبها اليهود إلى كتاب (اليهود من كتابهم) محمد علي الخولي: ص/ ١٢٥ - ١٣٨، و(المجازر اليهودية والإرهاب الصهيوني) عبد المجيد همو.

(٣) (قصة الحضارة): ٢/ ٣٢٧.

(٤) (المواثيق والعهود في ممارسات اليهود) جبر الهلول: ص/ ٧٩.

إلهية لا تقبل الشك، يقول هرتزل: "إن فلسطين هي وطننا التاريخي الذي لا يُنسى... وسوف يصبح هذا الاسم وحده صيحة الحشد الجبارة لشعبنا"[١].

وأكد في كتابه (الدولة اليهودية) أن فكرة الدولة اليهودية فكرة موغلة في القدم[٢]، وظل هذا الفكر هو المسيطر على قادة الفكر والسياسة في إسرائيل، قال موشي ديان[٣]: "إذا كنا نملك التوراة، ونعتبر أنفسنا شعب التوراة، فمن الواجب علينا أن نمتلك جميع الأراضي المنصوص عليها في التوراة"[٤]، وصرح الحاخام تسفي يهودا كوك أن كل فلسطين وشرق الأردن بأكمله لهم، وليس لهم الحق أن يتنازلوا عن ميل واحد منها[٥].

ويشير مفكرو اليهود إلى أن إسرائيل مركز العالم، يقول المفكر اليهودي (أندريه نيهير): "فإسرائيل إذاً هي محور العالم، وعصبه، ومركزه، وقلبه"[٦]، فالقراءة الحرفية للتوراة تقدم الإطار الأخلاقي الذي حوَّل الاستيطان الصهيوني الاستعماري في يومنا هذا إلى دولة مدعومة من العناية الإلهية.

ووفق توجيهات التوراة دعا مفكرو اليهود في العصر الحديث إلى التطهير العرقي الذي نادى به عزرا، قال زنجويل حين زار فلسطين سنة (١٨٩٧م): "علينا أن نستعد لطرد القبائل صاحبة الملكية بحد السيف كما فعل أجدادنا"[٧]، "وفي عام ١٩٠٧م تأسست منظمة عسكرية صهيونية سرية (هوشمير) كان شعارها: لقد سقطت يهوذا بالدم، والنار، وستنهض بالطريقة نفسها"، ونقشوا هذا الشعار على علمهم، هذا الشعار كما يقول يعقوب شريت أصبح – رغم أنف

---

(١) (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية) روجيه جارودي: ص/ ٢٦ نقلاً عن (دولة اليهود) هرتزل: ص/ ٢٠٩.

(٢) راجع (المواثيق والعهود في ممارسات اليهود) جبر الهلول: ص/ ١٢٠، ١٣٦.

(٣) موشى ديان وزير دفاع الكيان الصهيوني في حرب ١٩٦٧م في وزارة (غولدا مائير).

(٤) (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية) روجيه جارودي: ص/ ٧٣.

(٥) راجع (التطرف الإسرائيلي جذوره وحصاده) طاهر شاش: ص/ ٨٣.

(٦) (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية) روجيه جارودي: ص/٣٦، نقلا عن (جوهر النبوة) أندريه نيهير، الناشر كلمان ليفي ١٩٧٢، ص/ ٣١١.

(٧) (التطرف الإسرائيلي جذوره وحصاده) طاهر شاش: ص/ ٦٤.

اليهود – شعاراً يقول: بالدم والنار تبقى إسرائيل[1]، أليس ما قام به يشوع – بزعم عزرا – هو نفسه ما قام به مناحيم بيجن ومنظمته الإرهابية العنصرية (إرجون) في دير ياسين في ٩ إبريل/ نيسان ١٩٤٨م حين أقدموا على قتل ٢٥٤من الرجال والنساء والأطفال، مازال صدى عنصرية عزرا تتردد في أرجاء فلسطين وفي كل شبر منها، قال (يورام بن بورات): "لن تكون هناك صهيونية، ولن يكون هناك وجود استيطاني للدولة اليهودية، إلا بطرد العرب والاستيلاء على أراضيهم"[2]، هذه العقيدة هي التي دفعت (باروخ جولدشتاين) على قتل ٣٠ مصلياً ببندقيته في صلاة الفجر في الحرم الإبراهيمي.

لقد أصبحت نزعة التطهير العرقي نهجاً ثابتاً لدولة إسرائيل، وتستمد أصولها من مقولة النقاء العرقي التي تحرم اختلاط الدم اليهودي بالدم النجس.

ويذهب المفكرون الصهاينة إلى ضرورة تفريغ فلسطين بطرد السكان الأصليين العرب منها وإحلال اليهود مكانهم، وهذا ما أكده هرتزل في منكراته، وزانجويل في كتاباته، ونكره جوزيف وانتز – مسؤول الاستيطان في الوكالة اليهودية– في جريدة دافار عدد٢٩، سنة ١٩٦٧م، وغيرهم[3].

وكان هذا التطهير العرقي في السابق مسوغاً لارتكاب مذابح مماثلة في العصر الحديث، فالفكر الاستعماري جعل من النموذج التوراتي للتطهير العرقي مثلاً أخلاقياً له، "ففي أثناء مطاردتهم للهنود الحمر للقضاء عليهم، والاستيلاء على أرضهم، كان المتطهرون الذين استوطنوا أمريكا يستشهدون بيوشع وبعمليات (الإبادة المقدسة) التي نفذها للتخلص من العماليق"[4].

---

(١) راجع (دولة إسرائيل زائلة) يعقوب شريت: ص/ ٤١. و(الصهيونية و العنف) عبد الوهاب المسيري: ص/ ٢٢٩.

(٢) (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية) روجيه جارودي: ص/ ٧٣نقلاً عن صحيفة (يديعوت أحرونوت) ١٤ يوليو/تموز ١٩٧٢.

(٣) راجع (الصهيونية و العنف) عبد الوهاب المسيري: ص /٢٢٥ – ٢٢٦.

(٤) (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية) روجيه جارودي: ص/ ٧٩.

لقد كانت التوراة العامل الأساس في إسباغ المشروعية والمسوغ الأخلاقي على أعمال التمييز العنصري في جنوب إفريقيا[1].

يقول (مايكل بريور)[2]: لعل أكثر ما صدمني في الروايات التوراتية هو تلك الرابطة العضوية بين الوعد الإلهي بالأرض والأوامر الواضحة بإفناء السكان المحليين، وهذه الروايات لا تقدم التطهير العرقي كأمر مشروع ومُسَوَّغ فحسب، وإنما كمطلب إلهي من مطالب الألوهية، وصار من الواضح عندي أن بعض النصوص التوراتية قد ساهمت في معاناة العديد من السكان المحليين، وقدمت هذه المرويات المرجعية الأخلاقية لتدمير ثقافة أمريكا اللاتينية خلال الغزو الأوربي للعالم الجديد، ولنهب واستغلال سكان جنوب إفريقيا، وللمشروع الصهيوني، لقد غذت هذه المرويات على أرض الواقع كل أشكال الإمبرالية العسكرية الأوربية، وذلك من خلال تقديمها مشروعية إلهية مزعومة للمستعمرين الغربيين في قلب الظلام، وقد قدمت التوراة المسوغات والمشروعية الأخلاقية المطلوبة لأولئك المستعمرين للاستلاء على الشعوب ونهب خيراتهم، وفي الوقت الراهن – بينما تتم على المستوى العالمي إدانة شاملة للاستعمار والمستعمرين – يجري النظر إلى الغزو الصهيوني باعتباره إنجازاً مقبولاً، ومستحسناً، وذا دلالة دينية فريدة[3].

وهذه النشوة والإسراف في القتل له ما يسوّغه عندهم:

أولاً: أن فلسطين هي المعبد، وقدس الأقداس، لا ينبغي أن تتنجس برجاست الأمم.

---

(١) راجع (قراءة أخلاقية للكتاب المقدس) مايكل بريور، مقالة ضمن كتاب (القدس أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ) تحرير توماس لطومبسون: ص/ ٦٩.

(٢) مايكل بريور محاضر أول في اللاهوت كلية سانت ماري الجامعية (قراءة أخلاقية للكتاب المقدس) مايكل بريور، مقالة ضمن كتاب (القدس أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ) تحرير توماس لطومبسون: ص/ ٤٣.

(٣) راجع (قراءة أخلاقية للكتاب المقدس) مايكل بريور، مقالة ضمن كتاب (القدس أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ) تحرير توماس لطومبسون: ص/ ٥٦ – ٥٩، ٦٩.

ثانياً: أن الأغيار ليسوا بشراً، بل حيوانات خلقت على هيئة الإنسان، حتى جاء في كتبهم إن كان ليهودي خادم مسيحي ومات فلا يلزم أن تقدم له العزاء بصفة كونه إنساناً، ولكن بصفة كونه فقد حيواناً من الحيوانات المسخرة له، ومن ثم لا يجوز لليهودي أن ينقذ أحداً من الأغيار، ولا أن يشفق عليه، ومن العدل أن يقتل بيده كل كافر؛ ليقدمه قرباً لله، كما جاء في التلمود(1).

وتصف الأدبيات الصهيونية الأغيار بأنهم: ذئاب، قتله، متربصون باليهود، ومعادون أزليون لليهود، وجاء في قصيدة (وقت الحراسة) التي كتبها شاؤول تشرنحو فسكي(١٨٧٥-١٩٤٣م) الصهيوني الروسي، في تل أبيب عام ١٩٣٦م، إشارة إلى الأغيار - دون ذكر العرب - بوصفهم رجال الصحراء المتوحشين، وهم بهذا يصبحون شيئاً عاماً مجرداً خالياً من القداسة، وجزءاً من الطبيعة يسهل التعامل معه، واصطياده، وإبادته(2)؛ ولذلك لا يشعرون بأي واجب نحو الأغيار، قال عنهم الحق عز وجل: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

ثالثاً: هذه الإبادة مرتبطة بأمر إلهي، فهي إبادة مقدسة، وما قامت به دولة إسرائيل من أعمال وحشية وما ستقوم به ما هو إلا تنفيذ لأمر إلهي منوط بإسرائيل، قال الحاخام يهودا كوك: "الله قد أمرنا بأن نستولي على الأرض ونستوطنها، ومعنى الاستيلاء هو الغزو، فأداؤنا لفريضة الغزو هو الذي يمكننا من أداء فريضة الاستيطان"(3).

هذه العقيدة الشاذة لا يساورني أدنى شك أنها جبلت الشخصية اليهودية

---

(١) راجع (الكنز المرصود في قواعد التلود) ترجمة يوسف نصر الله: ص/ ٧٥ - ٧٦، ٩٠ - ٩١.

(٢) راجع (الصهيونية و العنف) عبد الوهاب المسيري: ص/ ٩٣.

(٣) (التطرف الإسرائيلي جذوره وحصاده) طاهر شاش: ص/ ٧٥.

بالشذوذ، حتى أصبح جزءاً من شخصيتهم، وهو أعمق بكثير مما تصوره اليهود من أن هذا الشذوذ له مظهران أساسيان. أحدهما: اقتصادي، مثل الاشتغال بالسمسرة، والمضاربات، والأعمال الهامشية غير المنتجة مثل التهريب، والأعمال المالية، والاتجار في العقارات، وتجارة الرقيق الأبيض.

أما المظهر الثاني السياسي، وهو العجز بسبب انعدام السيادة، وعدم المشاركة في السلطة(١).

ولا بد من وقفات عند عقيدة (أرض الميعاد والتطهير العرقي) من جوانب عدة:

الوقفة الأولى: المتأمل في نص التوراة يجد أن الرب لم يطلق على أرض فلسطين أرض إسرائيل، بل أرض كنعان، أو أرض الكنعانيين في مواضع كثيرة من التوراة(٢)، وبعد عودة أبناء السبي وجدوا الأرض التي يُفترض أنها خالية مليئة بالسكان، ولكنهم في هذه المرة لم يكونوا من العماليق أو الكنعانيين، بل كانوا أقرب إلى الأشباح غير محدودي الهوية ممن يدعوهم النص (بشعوب الأرض)(٣) فمن حقهم –إذاً– تملُّك الأرض، وهي ذات المقولة التي رددتها الصهيونية الحديثة أن فلسطين أرض بلا شعب، وأن اليهود شعب بلا أرض.

الوقفة الثانية: إن العهد أعطي لإبراهيم وبنيه، فعلى هذا يكون جميع أبنائه يشملهم هذا الوعد، والأولى بهذا الوعد إسماعيل – عليه السلام –؛ لأن إبراهيم – عليه السلام – لم يكن له ذرية وقت أن أعطي الوعد سوى إسماعيل– عليه السلام –، ومن جهة أخرى فإنه بمنطق التوراة الوريث الشرعي لإبراهيم – عليه

---

(١) راجع (الجماعات الوظيفية اليهودية) عبد الوهاب المسيري: ص/ ١٥٧ – ١٥٩. ولكن في زماننا أصبحت السلطة في يد اليهود.

(٢) لم نستقص جميع المواضع نظراً لكثرة ورودها، فاقتصرنا على جملة (أرض كنعان) دون (الكنعانيين) في سفر (التكوين) فقط، وقد وردت في المواضع التالية ١١: ٣١، و١٢: ٥، و١٣:١٢، و١٦: ٣، و١٧: ٨، و٢٣: ٢، ١٩، و ٣١: ١٨، و ٣٣: ١٨، و ٣٥: ٦، و٣٦: ٥، ٦، و ٣٧: ١، و٤٢: ٥، ٧، ١٣، ٢٩، ٣٣، و ٤٤: ٨، و ٤٥: ١٧، ٢٥، و ٤٦: ٦، ١٢، ٣١، و ٣٧: ١، ٤، ١٣، ١٤، ١٥، و٤٨: ٣، ٧، ٣٠، ٥٠: ٥، ١٣.

(٣) راجع (عزرا) ١٠: ٢، ١١.

السلام – لكونه البكر، ولم يتنازل عن البكورية مثل عيسو، وإذا حصرنا العهد في أولاد يعقوب – عليه السلام – نجد أن الوعد لم يتحقق، حيث لم يتمكنوا من حكم فلسطين إلا فترة وجيزة، وكان يشاركهم – حتى في تلك الفترة – ملوك آخرون، ثم إن الأسباط العشرة من أبناء يعقوب – عليه السلام – لم يبق لهم وجود، وهذا يعني إن هذا الوعد ليس لكل أولاد يعقوب كما تذكر التوراة، بل لسبطي يهوذا وبنيامين، حيث لم يبق وجود إلا لهذين السبطين، وأفراد من سبط لاوي من الكهنة الذين كانوا في دولة يهوذا.

ومن جهة أخرى: نجد أن هذا الوعد مرتبط بمسألة اصطفاء بني إسرائيل التي مرَّت بنا، وجاء القرآن الكريم ليؤكد اصطفاء بني إسرائيل على العالمين، وفق شروط، وهناك نصوص في التوراة الحالية تبين ذلك، "فتحفظون جميع فرائضي، وجميع أحكامي، وتعملونها؛ لكي لا تقذفكم الأرض التي أنا آتٍ بكم إليها لتسكنوا فيها"[١].

وهذا يعني – بكل بساطة – أن تملكهم الأرض المقدسة مشروط بطاعة الله سبحانه وتعالى، فالعصاة لا يشملهم هذا الوعد، "إن جميع الرجال الذين رأوا مجدي... ولم يسمعوا لقولي لن يروا الأرض التي حلفت لآبائهم"[٢]، "ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك عليك جميع هذه اللعنات، وتدركك، ملعوناً تكون في المدينة، وملعوناً تكون في الحقل، ملعوناً تكون في سلتك... وتكون قلقاً في جميع ممالك الأرض، وتكون جثتك طعاماً لجميع طيور السماء، ووحوش الأرض، وليس من يزعجها"[٣].

ومقتضى العدل الإلهي أن يشتتوا في البلاد نتيجة لذنوبهم، وليس لهم الحق في فلسطين، "أشهد عليكم اليوم السماء والأرض أنكم تبيدون سريعاً عن الأرض التي أنتم عابرون الأردن إليها لتمتلكوها: لا تطيلون الأيام عليها، بل تهلكون لامحالة، ويبددكم الرب في الشعوب، فتبقون عدداً قليلاً بين الأمم التي يسوقكم الرب إليها"[٤]، وها قد تبيَّن أنهم ليسوا شعب الله المختار، ولا

---

(١) (لاويين) ٢٠: ٢٢.
(٢) (عدد) ١٤: ٢٢.
(٣) (تثنية) ٢٨: ١٢ – ١٤.
(٤) (تنثية) ٤: ٢٦ – ٢٧.

الأغلبية لا تنتمي إلى بني إسرائيل - كما مرَّ بنا - ومن ثم لا يمكن الاستشهاد بهذا الوعد لاغتصاب فلسطين.

الوقفة الثالثة: صفحات التوراة مليئة بالعنصرية البغيضة التي لا تقرها شريعة ولا عقل، فكاتب التوراة ينسب أبناء إبراهيم - عليه السلام - لأمهاتهم ما عدا إسحاق الذي يسبغ عليه وحده لقب (ابنه)، و يحصر الوعد في ولد دون غيره[1]، وهذا أمر مخالف لما جاء في سفر التثنية: "إذا كان لرجل امرأتان إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة، فولدتا له بنين، المحبوبة والمكروهة، فإن كان الابن البكر للمكروهة فيوم يقسم لبنيه ما كان له لايحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكراً على ابن المكروهة البكر"[2].

الوقفة الرابعة: تُعَدُّ حكاية الوعد في غاية الغرابة؛ لأن إبراهيم - عليه السلام - لم يقم في الأرض، بل كان متنقلاً، وبعد أن تقول التوراة: إن هذه الأرض أعطيت لإبراهيم - عليه السلام - بوثيقة إلهية لا تقبل المساومة، يقوم إبراهيم - عليه السلام - بشراء قطعة أرض ليدفن فيها سارة ومن بعدها هو، فيقول لبني حِيثَّ: "أنا غريب ونزيل عندكم، أعطوني مُلْكَ قبرٍ معكم؛ لأدفن ميتي من أمامي"[3]، ونتساءل أمام هذا النص هل يكون الإنسان غريباً في ملكه!؟.

ولم يتحقق الوعد لإسحاق - عليه السلام - أيضاً - فقد عاش في ضيافة (أبيمالك) ملك الفلسطينيين، وبعد أن تحسنت أحواله ساءت الأحوال بينه وبين (أبيمالك) فمضى ونزل في وادي جرار، ثم سكن بئر سبع حتى آخر حياته ولم يمتلك الأرض[4]، وظل في هذه الأرض غريباً هو ابنه يعقوب - عليه السلام -، "وسكن يعقوب في أرض غربة أبيه، في أرض كنعان"[5]، ويموت يعقوب -

---

(١) راجع (أرض الميعاد بين الحقيقة والأسطورة) محمد بيومي مهران: ص/ ١١، ١٣.
(٢) (تثنية) ٢١: ١٥ - ١٦.
(٣) (التكوين) ٢٣: ٤.
(٤) راجع (تكوين) ٢٦: ١٥ - ٢٣.
(٥) (تكوين) ٣٧: ١.

عليه السلام – في مصر بعد أن يوصي بأن يدفن بجوار آبائه في أرض كنعان التي اشتراها إبراهيم – عليه السلام –(١).

وموسى – عليه السلام – يتحرق شوقاً إلى أرض كنعان، ولكنه يحرم من الدخول إليها، يسأل موسى ربه فيقول: "دعني أعبر وأرى الأرض الجيدة التي في عبر الأردن، هذا الجبل الجيد ولبنان، لكن الرب غضب عليّ بسببكم، ولم يسمع لي، بل قال لي الرب: كفاك لا تعد تكلمني – أيضاً – في هذا الأمر، اصعد إلى رأس الفِسْجَة، وارفع عينيك إلى الغرب والشمال والجنوب والشرق، وانظر بعينك لكن لاتعبر هذا الأردن"(٢)، من حقنا أن نقول: أي وعد هذا ولمن كان؟!

الوقفة الخامسة: يشكك (فون باجوت جلوب) بهذا الوعد، فيرى أن إبراهيم – عليه السلام – أبو الأمة ولد خارج فلسطين، واستدعاه الرب إليها، ولما كانت الظروف الاقتصادية في أرض كنعان صعبة نزح إلى مصر، ولا يصمد في البلد المزمع أن تكون بلد الشعب الذي سيولد من نسله، وكُنَّا نفهم نزوحه لو نزح إلى وطنه، ثم إنه لم ينقض إلا جيلان حتى يعود يعقوب الحفيد مرة أخرى للنزوح إلى مصر، ولكن دون أن يحظى بالهجرة عائداً، ويموت في مصر (المنفى)، ويطلب يعقوب – عليه السلام – أن يعيد رفاته إلى فلسطين.

إذاً فالآباء الأول كانت علاقتهم بالبلاد هي علاقة ذات مغزى مزدوج (الهجرة والنزوح)، لقد وجد شعب بني إسرائيل في مصر، أي تم إعدادهم كشعب، ولم يوجد في فلسطين، فليس هناك علاقة طبيعية بين الشعب ووطنه، وأعطيت التوراة في الصحراء، وليست في فلسطين، فالعلاقة بينهم وبين الله تمت في المنفى، وفي منطقة خاوية، ويخاف بنوإسرائيل الدخول إلى البلاد خشية ألا يستطيعوا تنفيذ الشروط الصعبة التي وضعها الرب من أجل وجودهم في البلاد، ويصل اليهود إلى أرض كنعان، ويشكلون دولة فما يلبث أن تنقسم ثم تضمحل، وتمر السنون، فتنهار مملكة إسرائيل، وضاع الأسباط العشرة بين الشعوب كما فقدت الأرض، ودُمِّرت مملكة يهوذا، وسبي أهلها إلى

---

(١) (تكوين) ٤٩: ٢٩– ٣٣.

(٢) (تثنية) ٣: ٢٥ –٢٧.

بابل، ولكنهم يصمدون فلم يذوبوا في الشعوب كما ذابت الأسباط الأخرى، وحينما سمح لهم كورش بالعودة لبناء الهيكل لم يعد إلا جزء صغير، وفَضَّل أكثرُ اليهود المنفى على الوطن، ونجد شواهد على ذلك وجود طوائف يهودية في بابل، وشمال أوربا، وروما، وآسيا الصغرى، وشمال إفريقيا، ودول مختلفة، ولقد قام جوستير بدراسات عن المدن التي كان اليهود يشكلون بها جالية هامة في العصر الروماني، فوجد أنهم كانوا يسكنون أغلب المدن، ولم يبذل اليهود أي مجهود جدي وذي مغزى من أجل العودة إلى فلسطين، وهناك أدلة كثيرة على ذلك، ومنها: أن عدد اليهود في بداية القرن التاسع عشر في فلسطين كان ١٥ألف من بين شعب كان يبلغ تعداده ٥،٢ مليون، بينما في اليمن كان يعيش فيها في تلك الفترة حوالي ثلاثين ألف يهودي، ويُرجِع (فون باجوت جلوب) وجود الكيان الصهيوني إلى الحركة الصهيونية العالمية، وأن ظاهرة الشتات ملازمة لهذا الشعب(١).

وعلى الرغم من محاولة عزرا تثبيت فلسطين في الوعي، والتراث الديني اليهودي باعتبارها (أرض الميعاد) إلا أن اليهود ظلوا على مدار تاريخهم يفضلون البقاء في المنفى، والشتات، وكانوا يكتفون بترديد عبارات الشوق، والحنين - "إلى العام القادم في أورشليم"، أو "إن نسيتك يا أورشليم تنسني يميني، ليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك، إن لم أفضل أورشليم على أعظم فرحي"(٢)- وانتظار المسيح المخلص، وهذه عادة متأصلة فيهم أن ينتظروا المساعدة الإلهية لهم دون بذل أي جهد، ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، وحتى وقتنا الحاضر يقوم غيرهم بخدمة مصالحهم، وأطماعهم، بل والحرب عوضاً عنهم إذا لزم الأمر، ومن جهة أخرى أخفق عزرا في أن يجعل منهم بناة دولة وحضارة، ولكنه نجح في أن يجعل منهم جماعة إثنية تحافظ

(١) راجع (اليهود و اليهودية في العصور القديمة بين التكوين السياسي وأبدية الشتات) ترجمة وتقديم رشاد الشامي، عن كتاب (السلام في الأرض المقدسة تحليل تاريخي لمشكلة فلسطين) فون باجوت جلوب: ص/ ٣٤ - ٤٠، ١١٦.

(٢) (مزامير): ١٣٧.

على وجودها في مجتمعات أقوى منها، أو في دول، حين كرس في وجدانهم هذه العنصرية المقيتة؛ ثم إن هذا الدين بدأ يتبلور في الأسر البابلي، ومن ثم أصبحت اليهودية دين جماعة، لا دين دولة، وعلى مرِّ السنين حافظت الديانة اليهودية على خصوصية اليهود، وعدم نوبانهم في مجتمعات مختلفة، فأوجدت مجتمعات يهودية قوية ذات سلطة ونفوذ، لكنها لم تستطع أن تكون دولة قوية ذات نفوذ وقوة، وفي فترات وجود الدولة كانت تابعة لغيرها في الأغلب والأعم، فدولة المكابيين التي يفتخر بها اليهود لم تكن سوى ممثلة لليونان، ثم للرومان في فلسطين، وليس الكيان الصهيوني الحالي ببعيد عن هذه الحالة، وهو لا يستمد قوته من داخل دولته بقدر ما يستمده من المجتمعات اليهودية القوية ذات النفوذ خارج إسرائيل، قال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢].

ونكر الدكتور عبد الوهاب المسيري: أن اليهود في الغرب شكلوا الجماعات الوظيفية[١] المعزولة، والمهمشة، والطفيلية، وأن (الجيتو) لم يكن قيداً يفرض على أعضاء الجماعة، وإنما كان حقاً يسعون إليه ويشترونه، وقد ساهم في عزلة أعضاء الجماعات اليهودية، وكان كثير من الصهاينة يتصور أن سقوط الجيتو سيتسبب في اختفاء اليهودية؛ لأن وجوده مرتبط عضوياً بالعزلة، وهو الذي حافظ على هوية اليهود[٢]، ونتيجة العقلية التي غرزها فيهم عزرا فإن دولتهم الحالية هي الدولة الوظيفية[٣].

---

(١) الجماعات الوظيفية: جلب فئة من الوافدين إلى دولة يتم عزلهم عن المجتمع، والاستفادة منهم في أداء وظيفة معينة. راجع (الجماعات الوظيفية اليهودية) عبد الوهاب المسيري: ص/ ١٩ – ٢١.

(٢) راجع (الجماعات الوظيفية اليهودية) عبد الوهاب المسيري: ص/ ١١١ – ١١٧، ١٥٣، و(الدولة والدين في إسرائيل مواجهة أم اتفاق) مركز زائد للتنسيق والمتابعة: ص/ ١١.

(٣) الدولة الوظيفية لها عدة أشكال، ومنها: أن سكانها لايستطيعون الدفاع عن دولتهم، فيصبح من الحتمي عليهم الاعتماد على قوة خارجية تضمن بقاءهم وثراءهم وانفصالهم. راجع (الجماعات الوظيفية اليهودية) عبدالوهاب المسيري: ص/ ٣٩–٤٠.

ومن الغريب حقاً: أن جابوت-نسكي كان مدركاً لشيء من هذا القبيل فتصوره عن الدولة أنها جماعة وظيفية، فقال: "إن الدولة الصهيونية المحاطة بالعرب من كل جانب، ستسعى دائماً إلى الاعتماد على إمبراطورية قوية غير إسلامية، وقد اعتبر جابوتنسكي هذه الانعزالية أساساً إلهياً لإقامة تحالف دائم بين إنجلترا، وفلسطين اليهودية"[(١)]، بينما نجد أحد عقلاء هذه الملة يدرك خطر هذه الأفكار على دولة إسرائيل، من أمثال يعقوب شريت[(٢)] ألف كتاباً بعنوان (دولة إسرائيل زائلة) حيث بين أن بذرة الفناء ولدت مع هذه الدولة؛ لأنها دولة عنصرية، متعصبة، تابعة للاستعمار الغربي، بقاؤها مرهون بتحالفاتها الدولية مع قوى أجنبيه خارج المنطقة، وما تحصل عليها من مساعدات، ومنح، وقروض، وأسلحة تتلقاها ولا زالت من الدول الحليفة، وتوقعاتها مجابهة أبدية مع جيرانها تكون يد إسرائيل فيها هي العليا، دولة تؤمن بالقوة، تعيش حياتها كلها على حد السيف، في قطعة أرض ليس بمقدور قوة على الأرض أن تغيِّر طابعها العربي المسلم الأبدي[(٣)].

الوقفة السادسة: تحديد مساحة الأرض فيه اضطراب واختلاف حتى للنبي نفسه كما مرَّ بنا، وهذا يعني بكل بساطة أن هذه الوعود ليست من الله عز وجل؛ إذ لو كانت منه سبحانه وتعالى لما رأينا اختلافاً واضحاً بينها، ونجد أن حدود هذه الأرض في توسع، حتى أنه في (سفر يشوع) يشمل: "كل موضع تَدُوسُهُ بطونُ أقدامكم لكم أعطيته، كما كلمت موسى"[(٤)]، ولنا وقفة مع هذا النص من وجهين.

أولاً: لا وجود لهذا الوعد في التوراة بهذا النص.

ثانياً: هذا أمر مفزع ومقلق وفق هذا النص، كل العالم ملك لهم؛ لأنه ما من موضع في العالم إلا وقد وطئته أقدامهم.

---

(١) (الصهيونية و العنف) عبد الوهاب المسيري: ص/ ٢٢٠.
(٢) يعقوب شريت، مفكر وكاتب يهودي، ابن أحد آباء الحركة الصهيونية موشيه شريت وزير خارجية بن غوريون. راجع (دولة إسرائيل زائلة) يعقوب شريت: ص/ ٨.
(٣) راجع (دولة إسرائيل زائلة) يعقوب شريت: ص/ ٢٦، ٣٧، ٤٠ - ٤١، ٥٧.
(٤) (يشوع) ١: ٣.

ومن جهة أخرى: فإن هذا الوعد ليس على إطلاقه، فقد جاء في التوراة ما يناقضه، فقد حرَّم الرب على بني إسرائيل اجتياح أرض مؤاب وعمون؛ لأن الله لم يعطها لهم، مع أنها من أرض فلسطين، "فقال لي الرب: لاتعادِ موآب، ولا تُثِرْ عليهم حرباً؛ لأني لا أعطيك من أرضهم ميراثاً؛ لأني لبني لوطٍ قد أعطيتُ عَارَ ميراثاً[١] "فمتى قربت إلى تجاه بني عمون لاتعادهم، ولا تهجموا عليهم؛ لأني لا أعطيك من أرض بني عمُّونَ ميراثاً؛ لأني لبني لوطٍ قد أعطيتها ميراثاً[٢] وجاء نص آخر يمنع دخولهم مصر مع أن أرضهم حددت من الفرات إلى النيل[٣]، وهذا يعني بكل بساطة أن هذا الوعد مشكوك فيه؛ لأنه جاء ما يناقضه.

الوقفة السابعة: جاء في كتاب الله أن موسى – عليه السلام –أمرهم أن يدخلوا الأرض التي أمرهم الله أن يدخلوها، قال تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢١]، وليس في الآية دليل على أن الله أعطاها لهم ولذريتهم من بعدهم حتى تقوم الساعة، لأن الأرض هي ملك لله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، ويورثها عباده الصالحين: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]؛ إذاً فليس هناك وعد مطلق بتمليكها لأحد، وإنما هو وعد مشروط بالصلاح.

وعلى هذا لما انحرف بنو إسرئيل عن منهج الله تعالى لم يعودا يستحقون أن يكونوا من عباد الله المخلصين، ولا من الذين يرثون الأرض، فما بالكم باليهود شذاذ الآفاق الذين حرفوا وبدلوا دين الله، قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨]، وجاء حزقيال ليؤكد لهم من خلال العهد القديم أن ليس لهم الحق في الأرض المقدسة لسبب بسيط؛

---

(١) (التثنية) ٢: ٩.

(٢) (التثنية) ٢: ١٩.

(٣) راجع (التثنية) ١٧: ١٦.

لأنهم انحرفوا عن الجادة، "يابن آدم إن الساكنين في هذه الخرب في أرض إسرائيل يتكلمون قائلين: إن إبراهيم كان واحداً، وقد ورث الأرض، ونحن كثيرون لنا أعطيت الأرض ميراثاً، لذلك قل لهم: هكذا قال السيد الرب: تأكلون بالدم، وترفعون أعينكم إلى أصنامكم، وتسفكون الدم، أفترثون الأرض!؟ وقفتم على سيفكم، فعلتم الرجس، وكل منكم نجَّس امرأة صاحبه، أفترثون الأرض!؟ قل لهم: هكذا قال السيد الرب، حيٌّ أنا، إن الذين في الخرب يسقطون بالسيف، والذين هو على وجه الحقل أبذله للوحش مأكلاً، والذين في الحصون وفي المغاير يموتون بالوباء، فأجعل الأرض خربة مقفرة، وتبطل كبرياء عزتها، وتخرب جبال إسرائيل بلا عابر"[١].

الوقفة الثامنة: إن هذه القسوة التي تصورها عزرا(السادي) ووضعها في التوراة هي من نسج خياله، فقد ثبت من خلال علم الآثار أن مدينة أريحا التي احتلها بنو إسرائيل – كما جاء ذكرها في سفر يشوع – في تلك الفترة كانت مهجورة غير مسكونة؛ لأنها دمرت قبل ذلك وهجرها أهلها[٢]، كما أثبت علم الآثار أن المواقع التي ذكرت التوراة أنها سقطت أمام غزو بني إسرائيل إما أنها كانت غير مأهولة، أو أن تدميرها وقع بعد قرن من الزمان في زمن هجوم الفلسطينيين القادمين من كريت[٣]، فكم من أساطير لفَّقَها اليهود وأثبت التاريخ بطلانها !؟

الوقفة التاسعة: هذه القسوة والوحشية تعارض وصايا الرب لموسى – عليه السلام –: "لا تضطهد الغريب، ولا تضايقه؛ لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر، لاتسئ إلى أرملة ما، ولايتيم، إن أسأت إليه فإن صَرَخَ إليَّ أسمعُ صُراخَهُ، فيحمى غضبي، وأقتلكم بالسيف، فتصير نساؤكم أرامل، وأولادكم يتامى"[٤]، "لا تكره أدومياً؛ لأنه أخوك، ولا تكره مصرياً؛ لأنك كنت نزيلاً في أرضه"[٥].

---

(١) (حزقيال) ٣٣: ٢٤ – ٢٩.

(٢) راجع (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية) روجيه جارودي: ص/ ٦٩. و(إسرائيل ماذا تقول الوقائع و الكتب) نعمات أحمد فؤاد: ص/ ٨٦.

(٣) راجع (التطرف الإسرائيلي جذوره وحصاده) طاهر شاش: ص/ ١٦.

(٤) (الخروج) ٢٢: ٢١ – ٢٤.

(٥) (التثنية) ٢٣: ٧– ٨.

الفصل الرابع
التوراة بعد عزرا

لم يكن ما أسسه عزرا ديناً بقدر ما أراد أن ينشأ كياناً يهودياً من وجهة نظره، ووفق ثقافته، وأعني: ثقافة الأسر؛ ولذلك أهمل مباحث يوم القيامة، ويرى فرويد أن إهمال هذا الجانب في الديانة اليهودية هو أحد الأسباب التي تجعل من المستحيل أن تصبح ديانة عالمية(١).

وأرى أنه كان من البدهي أن يغفل كاتب التوراة هذا الركن الأساسي في الإيمان لسببين:

الأول: حتى يهتموا بدنياهم بدون وازع من دين، أو رادع من خلق.

ثانياً: حتى يكون متناسقاً مع فكره العنصري الذي يبرر لليهود كل خسيسة، ورذيلة، بل يدعو إلى تحسينهما، وحتى لا يحجم كل فرد منهم عن فعل ما هو قبيح من أجل شعبه.

لذا حرص عزرا على إغفال هذا الركن الأساس من العقيدة الدينية، فلو كان هناك جزاء وحساب على العمل لما تجرأ أحد على اقتراف هذه المعاصي والرذائل، والرزايا، والآثام، وليس هناك مثل هذا الركن في ضبط سلوك الفرد، ففي التوراة المحرفة المعصية رفعت يعقوب، وجعلته نبياً وبارك فيه، بينما الطاعة أسقطت عيسو إلى الهاوية أرأيتم.

ونفث عزرا في روع اليهود أنهم يتمتعون بحصانة إيمانية مقدسة تنأى بهم عن أي التزام أخلاقي اتجاه الآخر(٢)، وهو موقف لاعقلاني لا يمكن أن يقبل إلا عند من أشربوا في قلوبهم الحقد والكراهية ضد الإنسانية.

---

(١) راجع (بابل و الكتاب المقدس) جان بوتيرو: ص/ ١٣.

(٢) من الغريب: أن بعض هذه المواقف اللاعقلانية المشينة هي باتجاه بعضهم كموقف يعقوب مع أخيه عيسو.

يقول (ألبيرتو دانزول): "التوراة كتاب مقدس، حيث مرجعيته الدينية تقدس الاضطهاد، وتجعل منه مثالاً أعلى للحياة، بل واجباً، ومنذ ذلك الحين، أصبح النبذ والإقصاء... للآخر أو الآخر (الأكثر جداً) خارج حدود الضمير، ودخلوا في الصنف الذي قرره الله في حكمته اللامتناهية إنه أمر صالح، ومع التوراة أصبح الضمير الإنساني مهاناً، والحس النقدي ملغى"[١].

يرى ابن حزم أن دين اليهود يميل إلى إنكار البعث؛ "لأنه ليس في توراتهم ذكر لمعاد أصلاً، ولا لجزاء بعد الموت، وهذا مذهب الدهرية بلا كلفة، فقد جمعوا الدهرية، والشرك، والتشبيه، وكل حمق في العالم"[٢]، وأكد ذلك العقاد، فقال: "وقد خلت الكتب الإسرائيلية من ذكر البعث، واليوم الآخر"[٣].

وهذا ما يؤكد أن هذه الديانة ليست ديانة سماوية، وإنها صنيعة أحبارهم وبالأخص عزرا، والمتصفح للتوراة لا يجد للثواب الأخروي مكاناً فيه، بل هو جزاء دنيوي: "وإن سمعت لصوت الرب إلهك مباركاً تكون في المدينة، ومباركاً تكون في الحقل، ومباركاً تكون ثمرة بطنك، وثمرة أرضك، وثمرة بهائمك، ونتاج بقرك، وإناث غنمك، مباركة تكون سلتك، ومعجنك، مبارك تكون في دخولك، ومبارك تكون في خروجك، يجعل الرب أعداءك القائمين عليك منهزمين أمامك"[٤].

فكما أن الثواب أرضي فكذلك العقوبة أرضية، فإذا لم يسمع اليهودي لكلام الرب: "تأتي عليك جميع هذه اللعنات، وتدركك، ملعوناً تكون في المدينة، وملعوناً تكون في الحقل، ملعوناً تكون سلتك ومعجنك، ملعونة تكون ثمرة بطنك، وثمرة أرضك، نتاج بقرك، وإناث غنمك، ملعوناً تكون في دخولك، وملعوناً تكون في خروجك، يرسل عليك الرب اللعن، والاضطراب، والزَّجر في كل ما تمتد إليه يدك لتعمله حتى تهلك، وتفنى سريعاً من أجل سوء أفعالك"[٥]، وهكذا لا ذكر للجنة والنار في هذه العقوبات، بل لا ذكر لهما في التوراة.

---

(١) (اليهودية و الغيرية) ألبيرتو دانزول: ص/ ٢١١.
(٢) (الفصل في الملل و الأهواء والنحل): ١/ ٢٠٧.
(٣) (الله): ص/ ١١٢.
(٤) (تثنية) ٢٨: ١- ١١.
(٥) (تثنية) ٢٨: ١٥ -.

وما أجمل ما قاله محمد محلا: "إن سفر التكوين لا يعير اهتماماً لمسألة الخلود والحياة الأبدية، أو السمو بالإنسان إلى مجال روحي رحب، وكل ما فيه سر وإخبار قبيلة أضناها التشرد، وأنهكها التبدي والترحال؛ حتى صار استيطانها في أرض أملاً ضارباً كيان أفرادها بسوط مسعور، من هنا كان ابتداعها للوعد الإلهي لتُبَرِّر به استيلاءها على أرض الآخرين"[1]، يقول عبد المجيد همو: عن الرؤى والأسفار التي شم منها الباحثون ذكر الجنة والنار، بأنها ليست رؤى ليوم القيامة كما يتوهم بعض الناس، وإنما هي رؤى لانبعاث اليهود، وعودتهم إلى أرض فلسطين، وليست بعثاً للأمم وديمومة لمن أساء، إنها رؤى لعودة الشعب المختار، ولتفوقه، ولمحو الأمم من ظهر الأرض، ولن يبق في الحياة إلا هم"[2].

"إن الديانة اليهودية تبدأ وتنتهي بكل وعودها وغاياتها في الحياة الدنيا ولامطمع لها فيما بعد، وهذا يكشف لك في وضوح شناعة الأعمال التي يقوم بها اليهود الآن، فهي أعمال لا يمكن أن تصدر عن مؤمن يرى فيما بعد الحياة الدنيا حياة"[3].

لقد أغفل عزرا أمراً مهماً، وركناً من أركان العقيدة الدينية، ألا وهو الإيمان باليوم الآخر، وهو من أقرب الأمور الغيبية إلينا، حتى نكاد نلمسه لمس اليد، ولأهميته في ضبط حياة وسلوك الإنسان نجد أن الله سبحانه وتعالى أخبر عن أمره منذ خلق آدم – عليه السلام –، وما من نبي إلا وحذر قومه منه، وأخبرنا الحق سبحانه وتعالى أنه كلم موسى – عليه السلام – في شأن الساعة منذ أن كلفه بالرسالة من أول يوم، وذلك لعلمه سبحانه وتعالى باليهود وتغافلهم عنها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ﴾ [طه: ١٥-١٦].

---

(١) (الخرافة التوراتية) محمد محلا: ص/ ٣٤. نقلا عن (اليهودية بعد عزرا وكيف أقرت) عبد المجيد همو: ص/ ١٩٩-٢٠٠.

(٢) راجع (اليهودية بعد عزرا وكيف أقرت): ص/ ٢٠٠.

(٣) (الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي) عبد العظيم المطعني: ص/ ١٧٥.

المبحث الأول
فتح الباب لتصحيح التوراة
وإضافة أسفار جديدة إليها

من الملاحظ: أن عزرا عند كتابته للتوراة لم يترك الباب موصداً، بل فتحه على مصراعيه للكتبة الذين يأتون من بعده؛ ليضيفوا إليها أشياء، بل ويصححوا له ما يشاؤون، ومن ثم فالديانة اليهودية عرضة للتغيير الدائم، وليست ثابتة عند وضع معيَّن، فهي على مرِّ العصور تتشكل ويتزايد فيها التراث المكتوب، كما تتعدل فيها العبادات والشعائر بحسب الظروف، وترك عزرا الباب مفتوحاً لدخول نصوص مقدسة لها ما للتوراة من القداسة، مثل أسفار الأنبياء، وكتب الحكمة، ثم كتبوا بعد ذلك التلمود، وغيره من الكتب، وأخذت نفس القيمة والاهتمام من اليهود[1]، يقول حسن ظاظا: "إن الفكر الديني لدى اليهود كان يتسم بظاهرة ينفرد بها دون الأديان السماوية، وهي بقاء بابه مفتوحاً على مصراعية لكل ألوان التطور، بحيث أصبح اليهودي اليوم لا يشبه ما كان عليه اليهود أيام داود وسليمان، فضلاً عن أولئك الأقوام من الذين عاشوا في البداوة تحت حكم القضاة، أو الرعيل الأول الذي اتبع تعاليم موسى وهارون، فالنصوص تغيرت، والظروف التاريخية كذلك، والعقائد والطقوس أيضاً، بحيث يجد مؤرخ الفكر اليهودي نفسه أمام عدة أديان ومجتمعات مختلفة، غريبة بعضها عن بعض، لا تتفق إلا في الاسم، وتدخل بسببه في ركام متكتل"[2].

يعتبر عزرا "مؤسس نظم اليهودية المتأخرة، (التي وضعت في القرن الخامس قبل الميلاد) ولقبوه بالكاهن، وبالكاتب؛ لأنه كان دارساً مجتهداً، مفسراً

---

(١) انظر (اليهود في العالم القديم) مصطفى كمال عبد العليم، وسيد فرج راشد: ص/ ١٩١، و(اليهود و اليهودية في العصور القديمة بين التكوين السياسي وأبدية الشتات) ترجمة وتقديم رشاد الشامي، عن كتاب (السلام والأرض المقدسة تحليل تاريخي لمشكلة فلسطين) فون باجوت جلوب: ص/ ١٠٦.

(٢) (الفكر الديني اليهودي) حسن ظاظا: ص/ ١٢٩.

عميقاً لوصايا الله، وعهده لبني إسرائيل [بزعمهم]، وكان عزرا أول (كاتب) بهذا المعنى، وقد تعاقب الكُتَّاب من بعده، الذين كانوا يشكلون جهاز المجمع الكبير الذي وضع عزرا أسسه "(١).

ويبدو أن اليهود استكانوا لمجلس الكهنة الذي شكله عزرا، وكانت قراراته إرهابية، حتى إنهم أصدروا فتوى إذا اختلف الأحبار مع يهوه فإن الأحبار على صواب ويهوه على خطأ(٢).

ومن الملاحظ أن الذين جاءوا من بعد عزرا أكملوا ما بدأه الرجل فأضافوا على منواله أسفار الأنبياء، وهو القسم الآخر من العهد القديم، وتتضمن هذه الأسفار تكملة لتاريخ بني إسرائيل بعد موسى – عليه السلام –.

إذاً، لم يكتف عزرا بهذا التحريف الخطير، بل ترك الباب مفتوحاً للكتبة للتنقيح والزيادة والنقصان، ويعتبر هو أول الكتبة، ولذلك قضى هؤلاء الكتبة على آثار الرسل – عليهم السلام – وهذا ما أكده أرميا في مواضع من سفره: "كيف تقولون: نحن حكماء، وشريعة الرب معنا، حقاً إنه إلى الكذب حوَّلها قلم الكتبةِ الكاذب، خَزِيَ الحكماءُ ارتاعوا وأخذوا، ها قد رفضوا كلمة الرب، فأية حكمة لهم"(٣).

وصار اتلكلمة العليا في المجتمع اليهودي للكهنة الكذبة، "صار في الأرض دهش وقشعريرة، الأنبياء يتنبؤون بالكذب، والكهنة تحكم على أيديهم، وشعبي – بنو إسرائيل – هكذا أحب"(٤)، وأصبح "من المعلوم أن أحبار اليهود في بابل وفي فلسطين قد كرسوا جهودهم في القرن الثامن والتاسع، والعاشر، لتنقيح نسخة توراتية، وتثبيت قراءتها، وتخليصها من الأخطاء والشوائب؛ بغرض نقل نص توراتي صحيح إلى الأجيال القادمة، وقد اكتسبت النسخة الفلسطينية التي أشرف عليها الحبر ابن عاشر قبولاً"(٥)، فالأحبار

---

(١) (قاموس الكتاب المقدس) ٦٢١.
(٢) راجع (ما بين موسى وعزرا كيف نشأت اليهودية) عبدالمجيد همو: ص/ ٢٤١– ٢٤٢.
(٣) (أرميا) ٨: ٨ –٩.
(٤) (سفر أرمياء): ٥/ ٣٠ –٣١.
(٥) (بحوث في مقارنة الأديان) محمد الشرقاوي: ص / ١٥٥.

كانوا "يعيدون نشر الكتاب المقدس ويقومون باستمرار بتغيير ألفاظ، أو حذف جمل وإبدالها بغيرها حتى يومنا هذا.

فعلى سبيل المثال صدرت طبعة باسم الكتاب المقدس الإنجليزي الجديد، وهناك الكتاب المقدس الأمريكي الجديد، وهناك الكتاب المقدس العالمي الجديد، وهناك الكتاب المقدس باللغة الإنجليزية العصرية"[١]، وأقدم نسخة توراتية ماسورية[٢] هي النسخة المحفوظة في مكتبة لينجراد، ويرجع تاريخ تدوينها إلى القرن الحادي عشر الميلادي (سنة ١٠٠٨م)[٣].

ويرى سبينوزا: أنه "كان بالإمكان تحمل ذلك لو ظل الخلف – فيما بعد – ملتزماً حد الاعتدال، ونقل بأمانة إلى المتأخرين القليل – الذي وجده دون أن يدخل عليه بدعوى اختلقها هو ! فقد كانت خيانته سبباً في أن أصبحت المعلومات التاريخية عن الكتاب ناقصة، بل كاذبة، أي أن الأسس التي تقوم عليها معرفة الكتاب ليست غير كافية فقط من حيث الكم؛ بحيث لانستطيع أن نقيم عليها شيئاً كاملاً، بل إنها – أيضاً – معيبة من حيث الكيف"[٤]، لقد أقنع عوامل عدة "بعض علماء القرن السابع عشر أن أسفار الكتاب المقدس العبري الخمسة الأولى – على الأقل – قد كُتبت، ثم وُسِّعَتْ، وزُيِّنَتْ لا حقاً من قبل محررين مجهولين، ومراجعين متعددين على مدى عدة قرون"[٥].

"وبذلك يتضح أن الأسفار الخمسة قد تكونت من أقوال موروثة مختلفة، جمعها بشكل يقل أو يزيد محررون وضعوا تارة ما جمعوا جنباً إلى جنب، وطوروا، وغيروا من شكل هذه الروايات بهدف إيجاد وحدة مركبة، تاركين

---

(١) (الأصوليون اليهود) منى إلياس: ص/ ١٠٤ – ١٠٥.

(٢) الماسوريون: لقب يطلق على الأحبار الذين عكفوا على تنقيح النص التوراتي، ونسختهم المنقحة تسمى النسخة الماسورية. راجع (بحوث في مقارنة الأديان) محمد الشرقاوي: ص/ ١٥٥.

(٣) راجع (بحوث في مقارنة الأديان) محمد الشرقاوي: ص/ ١٥٥.

(٤) (رسالة في اللاهوت و السياسة) سبينوزا: ص/ ٢٦٥.

(٥) (التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها) إسرائيل فنكلشتاين، ونيل أشر سيلبرمان: ص/ ٣٦.

للعين أموراً غير معقولة، وأخرى متنافرة، كان من شأنها أن قادت المحدثين إلى البحث الموضوعي عن المصادر "[١].

ونتيجة إضافة أسفار جديدة إلى العهد القديم، والتنقيح الذي كان يجرى له بين الفينة والفينة نستطيع القول: إن العهد القديم هو نتاج جهد بشري مشترك امتدَّ لقرون عدة، وتعاقب عليه شخصيات كثيرة، ونتيجة لإعدام نسخ من العهد القديم كان هناك مجال واسع للتحريف[٢].

وعلى هذا فالديانة اليهودية والتوراة نتاج القرون التي تلت السبي البابلي، ومنذ تلك الأيام النحسات، التي أسس عزرا مجلساً أعلى للكهنة، وأنشأ الدين اليهودي، أصبح قيادة اليهود بيد الكهنة.

المبحث الثاني
هل عزرا نبي

أسفار العهد القديم لا تشير إلى نبوة عزرا إطلاقاً، بل تشير أنه كان من طبقة الكهان: "عزرا الكاهن"[٣]، وتطلق عليه اسم الكاتب: "وهو كاتب – أي عزرا – ماهر في شريعة موسى"[٤]، وفي سفر نحميا وصف عزرا: "عزرا الكاتب"[٥]، وقال السموأل: "وإنما يُسَمُّونه (عزرا هوفير)، وتفسيره (الناسخ)"[٦]، علماء النصارى خطؤوا عزرا في كتاباته، ولم يعدوه نبياً، ولا ملهماً[٧]، ولا بد للذي ينقل وحي الله تعالى أن يكون نبياً، أو رسولاً، فلماذا قبلوا ما كتبه على أنه التوراة !؟.

---

(١) (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة) موريس بوكاي: ص/ ٢٩.
(٢) راجع (إظهار الحق) رحمة الله الهندي: ٢/ ٦٠٩.
(٣) (عزرا) ٧: ١١.
(٤) (عزرا) ٧: ٦.
(٥) (نحميا) ٨: ٢– ٣.
(٦) (إفحام اليهود): ص/ ١٥٣.
(٧) راجع (ما بين موسى وعزرا كيف نشأت اليهودية) عبد المجيد همو: ص/ ٩٢، (إظهار الحق) ١/ ١٩٦.

لم يرد ذكر عزرا في الكتاب والسنة، وإنما ورد اسم عزير في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠]، فقد جاء في تفسير الآية عن ابن عباس، قال: أتى رسول الله – عليه السلام – سلامُ بن مشكم، ونعمان بن أوفى، وشاس بن قيس، ومالك بن الصيف، فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا، وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن الله؟ فأنزل في ذلك من قولهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[١].

أما سبب مقولتهم: إن عزيراً ابن الله فقد روي عن ابن عباس، قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ وإنما قالوا: هو ابن الله من أجل أن عزيراً كان في أهل الكتاب، وكانت التوراة عندهم يعملون بها ما شاء الله أن يعملوا، ثم أضاعوها وعملوا بغير الحقّ، وكان التابوت فيهم، فلما رأى الله أنهم قد أضاعوا التوراة وعملوا بالأهواء، رفع الله عنهم التابوت، وأنساهم التوراة، ونسخها من صدورهم، وأرسل الله عليهم مرضاً، فاستطلقت بطونهم، حتى جعل الرجل يمشي كَبِدُه، حتى نسوا التوراة، ونسخت من صدورهم، وفيهم عزير، فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا بعد ما نسخت التوراة من صدورهم، وكان عزير قبل من علمائهم، فدعا عزير الله، وابتهل إليه أن يردّ إليه الذي نسخ من صدره من التوراة، فبينما هو يصلي مبتهلاً إلى الله، نزل نور من الله فدخل جوفه، فعاد إليه الذي كان ذهب من جوفه من التوراة، فأذن في قومه، فقال: يا قوم، قد آتاني الله التوراة، وردّها إليّ، فعلقَ بهم يعلمهم، فمكثوا ما شاء الله وهو يعلمهم، ثم إن التابوت نزل بعد ذلك، بعد ذهابه منهم، فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذي كان عزير يعلمهم، فوجدوه مثله، فقالوا: والله ما أوتي عزير هذا إلا أنه ابن الله[٢].

---

(١) رواه الطبري فقي تفسيره: ح (١٦٦٣٦)، ٦/ ٣٥٠ – ٣٥١.
(٢) رواه الطبري في تفسيره: رقم (١٦٦٣٧)، ٦/ ٣١٥.

وقد رويت في كتب التفسير روايات متعددة في كيفية كتابة عزرا للتوراة بعد ضياعها، ولا تخلوا من الغرابة، وأصلها كلها – والله أعلم – إسرائيليات لا يعتد بها، وهذا يعني أن علماء السلف كانوا يرون أن عزيراً هو عزرا.

عن أبي هريرة – رضي الله عنه –، قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (مَا أَدْرِي أَتُبَّعٌ لَعِينٌ هو أَمْ لاَ ؟ وَمَا أَدرِي أَعُزَيْرٌ نَبِيٌّ هو أَمْ لاَ ؟)(١).

وري عن علي – رضي الله عنه – قال: (خرج عزير نبيّ الله من مدينته وهو رجل شاب، فمرّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال الله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩] فأول ما خُلِقَ عينيه، فجعل ينظر إلى عظامه ينضمُّ بعضها إلى بعض، ثم كسيت لحماً، ونفخ فيه الروح، وهو رجل شاب، فقيل له: ﴿كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، قال: فأتى المدينة وقد ترك جاراً له إسكافاً شاباً، فجاء وهو شيخ كبير)(٢).

والحديث موقوف على سيدنا علي – رضي الله عنه –، والحديث يشير إلى أن عزيراً كان نبياً وقد مرّ على قرية دون ذكر القرية.

---

(١) رواه أبو داود في سننه: السنة/ ١٤، ح(٤٦٧٤)، ٢/ ٦٣٠. ورجال سنده ثقات، وفيه سعيد بن أبي سعيد المقبري قال أحمد بن حنبل: ليس به بأس، وقال أبو حاتم: هو ثقة صدوق. قال يعقوب بن شيبة: قد تغير، وكبر واختلط قبل موته يقال بأربع سنين. راجع (الجرح والتديل) ابن أبي حاتم: ٤/ ٥٧، و (تقريب الهنيب) ابن حجر: ١/ ٢٩٧، و(تهذيب التهذيب) ابن حجر: ٤/ ٣٨– ٤٠.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك: ح (٣١١٧)، ٢/ ٢٨٢. وقال هذا حيدث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

ونكر الطبري أقوال العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة :٢٥٩.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: "إن الله تعالى نكره عجَّب نبيه ﷺ ممن قال إذ رأى قرية خاوية على عروشها: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ مع علمه أنه ابتدأ خلقها من غير شيء، فلم يقنعه علمه بقدرته على ابتدائها، حتى قال: أنَّى يحييها الله بعد موتها! ولا بيان عندنا من الوجه الذي يصحّ من قبله البيان على اسم قائل ذلك، وجائز أن يكون ذلك عزيراً، وجائز أن يكون إرميًا، ولا حاجة بنا إلى معرفة اسمه، إذ لم يكن المقصود بالآية تعريف الخلق اسم قائل ذلك، وإنما المقصود بها تعريف المنكرين قدرة الله على إحيائه خلقه بعد مماتهم، وإعادتهم بعد فنائهم، وأنه الذي بيده الحياة والموت"[(١)]، وتاريخ حياة عزرا لا يشير إلى أنه مات وعاد إلى الحياة، فلو حصل له شيء من ذلك لجعل اليهود ذلك دليلاً على صحة كتابته للتوارة.

ويذهب الحبر المهتدي السموأل بن يحيى إلى أن "عزرا هذا ليس هو (العُزَيْر) كما يظن؛ لأن العُزَير هو تعريب (العازار)، فأما (عِزْرا) فإنه إذا عُرِّبَ، لم يتغير عن حاله؛ لأنه اسم خفيف الحركات والحروف؛ ولأن (عزرا) عندهم ليس بِنَبِيّ، وإنما يُسَمُّونَه (عزرا هوفير) وتفسيره: (الناسخ)"[(٢)]، فهو يرى – والله أعلم – أن عزيراً نبي، ولما كان عزرا هو ناسخ التوراة، جمعها من مصادر متعددة كما مرَّ بنا، وليس بنبي، لرفع الإشكال شكك السموأل في أن يكون اسم

---

(١) (تفسير الطبري) الطبري: ٣ / ٣١.
(٢) (إفحام اليهود): ص / ١٥٢ – ١٥٣.

عزير مرادف لاسم عزرا، وأن مرادفه العبري (العازار)، ويرى الدكتور إبراهيم عوض أنه "لو كان (العازر) هو (عُزير) لسماه القرآن الكريم(العُزير) - بالألف واللام - كما فعل مع (اليسع) الذي أصله (اليشع)"[1].

أرى - والله أعلم - أن علماء السلف يعنون بعزير عزرا؛ لأن عزير هو الذي كتب التوراة من جديد كما يقولون، وأوصافهم له تنطبق على عزرا الكاهن، والآية تشير إلى أن اليهود هم الذين قالوا: بأن عزيرًا ابن الله، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠]، واليهودية ما تكونت إلا في أسر بابل، ولما لم يكن في تاريخ اليهود شخصية لها تأثير بارز في الديانة اليهودية، نستطيع القول إن المقصود بالآية هو عزرا، ليس العازر، والمطلع على قاموس الكتاب المقدس يجد أن معنى (عزرا) و(العازار) و(عزريا) بمعنى واحد وهو (العون)[2]، والمطلع على أسماء اليهود لا يجد اسماً قريباً من اسم عزير سوى (عزرا) و(العازار)، و(عزريا).

والتاريخ اليهودي يذكر شخصيات تَسَمَّتْ بهذه الأسماء أغلبهم كهان، ولكن لم يتبوؤوا مكانة مرموقة في المجتمع اليهودي كما تبوأها عزرا الكاتب، وقد جاء أن عزريا بن عوديد نبي أرسله الله لتحذير الملك آسا من عبادة الأوثان[3]، وقد سبق عزرا بقرون، ولما كان اسم عزرا اختصار لاسم عزريا، ويبدو أن أباه سرايا أطلق عليه اسم أبيه عزريا، ولعله اختصره بعد ذلك تحبباً، ثم انتشر كاسم مستقل بعده، ويظهر من قاموس الكتاب المقدس أنه أول من تسمى بذلك؛ إذ أطلق هذا الاسم على رجالات اليهود الذين جاءوا بعده، مع انتشار اسم عزريا على رجالات اليهود قبله، وربما عربا باسم واحد عزير، فكان

---

(١) (مع الجاحظ في رسالته الرد على النصارى) إبراهيم عوض: ص/ ٣٩.
(٢) راجع (قاموس الكتاب المقدس): ص/ ٥٨٩، ٦٢١ - ٦٢٢.
(٣) راجع (أخبار الأيام الثاني) ١٥: ١ - ٨. و(قاموس الكتاب المقدس): ص/ ٦٢٣.

أحدهما نبياً والآخر كاهناً حرف التوراة وأرجح أن الذي ورد في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠-٣١]، أن يكون هو عزرا الكاهن ليس بنبي؛ لأن الله عز وجل في الآية الأولى ذكر عزيراً والمسيح – عليه السلام –، وفي الآية الثانية ذكر الأحبار والرهبان، ثم ذكر المسيح، وفيه إشارة خفيه إلى أنه من الأحبار وليس نبياً، وقد ذكر العلماء في تفسير الآية الحديث المروي عن عديّ بن حاتم، قال: أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: «يا عَدِيّ اطْرَحْ هذا الوَثَنَ مِنْ عُنُقِكَ» قال: فطرحته وانتهيت إليه وهو يقرأ في سورة براءة، فقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قال: قلت: يا رسول الله، إنا لسنا نعبدهم فقال: «أليس يَحرّمونَ ما أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرّمُونَهُ، ويُحِلُّونَ ما حَرَّمَ اللَّهُ فَتُحِلُّونَهُ؟» قال: قلت: بلى. قال: «فَتِلْكَ عِبادَتُهُمْ»[1]، وقد شرع لهم عزرا ديانة جديدة بعد عودته من بابل، فمن هنا اتخذوه رباً وإلهاً؛ لكونه شرع لهم ما لم يأذن به الله تعالى، أما الشخصية الأخرى المذكورة في وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] فربما هو عزرا النبي إن صحت الرواية، والله أعلم.

(١) رواه الطبري في تفسيره: ح (١٦٦٤٧)، ٦/ ٣٥٤. و رواه البيهقي في (السنن الكبرى) ١٠: ١١٦، والطبراني في (المعجم الكبير): ١٧ / ٩٢.

الخاتمة

بعد إلقاء الضوء على حياة وفكر عزرا نشير إلى بعض المسائل المهمة التي توصلت إليها في بحثي هذا:

١ - اليهودية ديانة جديدة ظهرت في بابل.

٢ - عزرا له الأثر الكبير في تكريس الديانة اليهودية.

٣ - التوراة التي بأيد اليهود والنصارى ليست التوراة التي أنزلت على موسى - عليه السلام -، وإن كان فيها بقايا من التوراة التي أنزلت على موسى - عليه السلام -.

٤ - الهدف من كتابة التوراة هو إيجاد كيان يهودي عنصري في فلسطين.

٥ - السرعة في كتابة التوراة جعلتها تنخر بالتناقضات، والأخطاء الفاضحة.

٦ - الديانة اليهودية ديانة متغيرة.

٧ - الشخصية اليهودية شاذة، وغير سوية؛ نتيجة عبث عزرا وأحبار اليهود.

فهرس المصادر و المراجع

- **أبحاث في اليهودية والصهيونية**/ أحمد سوسة، إربد: دار الأمل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م.
- **أرض الميعاد بين الحقيقة والأسطورة**/ محمد بيومي مهران، الإسكندرية: الدار الجامعية، ١٤١٨/١٩٩٨م.
- **الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية**/ روجيه جارودي، تقديم محمد حسنين هيكل، ترجمة محمد هشام، القاهرة: دار الشروق، ط٢، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- **إسرائيل ماذا تقول الوقائع .. والكتب**/ نعمات أحمد فؤاد، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.
- **الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام**/ على عبدالواحد وافي، القاهرة: دار نهضة طباعة مصر للطباعة و النشر، بدون تاريخ.
- **الإسلام في مواجهة الاستشراق** / عبدالعظيم المطعني، المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتورزيع، ط١، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- **الأصوليون اليهود بين أساطير التوراة والعلم المعاصر**/ منى إلياس، بيروت: دار الفكر المعاصر، ودمشق: دار الفكر، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- **إظهار الحق**/ رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرناوي العثماني الهندي، تحقيق ودراسة محمد أحمد محمد عبدالقادر ملكاوي، الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العملية والافتاء و الدعوة والإرشاد، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
- **إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي ﷺ**/ السموأل بن يحيى المغربي، تحقيق محمد عبدالله الشرقاوي، الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية و الافتاء و الدعوة والإرشاد، ط٢، ١٤٠٧هـ.
- **الله أم يهوه أيهما إله اليهود**/ عبدالمجيد همو، مراجعة وتدقيق إسماعيل

الكردي، دمشق: دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، ط١، ٢٠٠٣م.

- **أوهام التاريخ اليهودي/** جودت السعيد، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م.
- **بابل والكتاب المقدس – محاورات مع إيلين مونساكريه/**جان بوتيرو، ترجمة روز مخلوف، دمشق: دار كنعان للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٠م.
- **بحوث في مقارنة الأديان/** محمد عبدالله الشرقاوي، القاهرة: دار الفكر العربي،١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- **البداية والنهاية لأمة بني إسرائيل/** أحمد حجازي السقا، دمشق – القاهرة: دار الكتاب العربي، ط١، ٢٠٠٣م.
- بنو إسرائيل الشعب الذي كان مختاراً/ عبدالعزيز عامر، القاهرة: مدبولي الصغير، ٢٠٠٢م.
- **تأثر اليهودية بالأديان الوثنية/** فتحي محمد الزغبي، طنطا: دار البشير للثقافة و العلوم الإسلامية، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- **تاريخ الديانة اليهودية/** محمد خليفة حسن أحمد، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٨م.
- **تاريخ فلسطين القديم منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي/** ظفر الإسلام خان، بيروت: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
- **التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي/** توماس ل. طومسون، ترجمة صالح علي سوداح، بيروت: بيسان للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٥م.
- **التطرف الإسرائيلي جذوره وحصاده/** طاهر شاش، القاهرة: دار الشروق، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- **تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن/** محمد بن جرير الطبري، بيروت : دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

- **تقريب الهذيب/** أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ط٢، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
- **تهذيب التهذيب/** أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، حيدر آباد الدكن: مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٥هـ.
- **التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها – رؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأصول نصوصها المقدسة على ضوء اكتشاف علم الآثار/** أ. د: إسرائيل فنكلشتاين، ونيل أشر سيلبرمان، ترجمة سعد رستم، دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٥م.
- **جذور البلاء/** عبدالله التل، بيروت: المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- **جذور الفكر اليهودي/** داؤد عبدالعفو سنقرط، عمان: دار الفرقان، ط١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- **الجماعات الوظيفية اليهودية نموذج تفسيري جديد/** عبدالوهاب المسيري، القاهرة: دار الشروق، ط٢، ٢٠٠٢م.
- **الحسام الممدود في الرد على اليهود/** عبدالحق الإسلامي المغربي، تحقيق عمر وفيق الدعوق، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط ١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- **دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة/** موريس بوكاي،
- **دولة إسرائيل زائلة/** يعقوب شريت، ترجمة دار الجيل، عمان: دار الجيل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ط١، ١٩٩١م.
- **الدولة والدين في إسرائيل مواجهة أم اتفاق/** مركز زائد للتنسيق والمتابعة، دولة الإمارات العربية المتحدة، أبو ظبي، ٢٠٠٠م.
- **رسالة في اللاهوت والسياسة/** سبينوزا، ترجمة وتقديم حسن حنفي، مراجعة فؤاد زكريا
- **سفر التاريخ اليهودي – اليهود .تاريخهم. عقائدهم. فرقهم. نشاطاتهم.**

سلوكياتهم. **الحركة الصهيونية والقضية الفلسطينية**/ رجا عبدالحميد عرابي، دمشق: دار الأوائل للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

- **الصهيونية والعنف من بداية الاستيطان إلى انتفاضة الأقصى**/ عبدالوهاب المسيري، القاهرة: دار الشروق، ط٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- **الفصل في الملل والأهواء والنحل**/ علي بن أحمد بن حزم الظاهري، بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر، ط٢، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- **الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه**/ حسن ظاظا، دمشق: دار القلم، وبيروت: الدار الشامية، وجدة: دار البشير، ط٣، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- **في ظلال القرآن**/ سيد قطب، القاهرة : دار الشروق، ط٧، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
- **قاموس الكتاب المقدس**/ نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، هيئة التحرير بطرس عبدالملك، وجون الكساندر طمسن، وإبراهيم مطر، بيروت: مكتبة المشعل، بإشراف رابطة الكنائس الانجيلية في الشرق الأوسط، ط٦، ١٩٨١م.
- **القدس أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ**/ تحرير توماس ل.طومبسون، بالتعاون مع سلمى الخضراء الجيوسي، ترجمة فراس السواح، بيروت: مركز الدراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠٣م.
- **قصة الحضارة**/ ول وايريل ديورانت، تقديم محيي الدين جابر، ترجمة زكي نجيب محمود، بيروت : دار الجيل، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- **كتاب الجرح والتعديل**/ عبدالرحمن بن أبي حاتم التميمي الحنظلي الرازي، حيدر آباد الدكن: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م.
- **كتاب السنن الكبرى**/ أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، بيروت: دار المعارف.
- **الكتاب المقدس أي كتب العهد القديم والعهد الجديد**/ دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

- **الكنز المرصود في قواعد التلمود/** ترجمة يوسف نصر الله، قدم له مصطفى أحمد الزرقا، وحسن ظاظا، دمشق: دار القلم، وبيروت: دار العلوم، ط٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

- **ما بين موسى وعزرا كيف نشأت اليهودية/** عبدالمجيد همو، مراجعة وتدقيق إسماعيل الكردي، دمشق: الوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، ط١، ٢٠٠٣م.

- **المجازر اليهودية والإرهاب الصهيوني - فكرة عامة عما أحدثه اليهود من مجازر وإرهاب قديماً وحديثاً من خلال كتاب العهد القديم ووقائعه/** عبدالمجيد همو، مراجعة إسماعيل الكردي، وتدقيق إسماعيل الكردي، دمشق: الوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، ط١، ٢٠٠٣م.

- **مجلة جامعة الشارقة/** المجلد ٣، العدد١، محرم ١٤٢٧هـ/ فبراير ٢٠٠٦م.

- **المستدرك على الصحيحين/** محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، بيروت: دار الكتب العلمية.

- **مع الجاحظ في رسالته الرد على النصارى/** إبراهيم عوض، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

- **المعجم الكبير/** الطبراني، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي، بغداد: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

- **مقارنة الأديان/** سعدون محمود الساموك، عمان: دار وائل للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٤م.

- **المواثيق والعهود في ممارسات اليهود - قراءة في الفكر الديني والفكر السياسي اليهودي المعاصر/** جبر الهلول، بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراست والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

- **موسوعة الفلسفة/** عبدالرحمن بدوي، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٤م.

- **موسوعة اليهود واليهودية/** عبدالوهاب محمد المسيري، القاهرة: دار الشروق، ط١، ١٩٩٩م.
- **هداية الحيارة** /ابن القيم.
- **الوسيط في علم الأديان/** عابد توفيق الهاشمي، صنعاء: دار الفكر المعاصر، ط١، ١٩٩٨م.
- **اليهود في العالم القديم/** مصطفى كمال عبدالعليم، وسيد فرج راشد، دمشق دار القلم، وبيروت: دار الشامية، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- اليهود من كتابهم/ محمد علي الخولي، عمان: دار الفلاح للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٨م.
- **اليهود واليهودية في العصور القديمة بين التكوين السياسي وأبدية الشتات/** ترجمة وتقديم رشاد الشامي، عن كتاب (السلام والأرض المقدسة تحليل تاريخي لمشكلة فلسطين) فون باجوت جلوب، القاهرة: المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، ط١، ٢٠٠١م.
- **اليهودية بعد عزرا وكيف أقرت/** عبدالمجيد همو، مراجعة وتدقيق إسماعيل الكردي، دمشق: دار الأوائل، ٢٠٠٣ م.
- **اليهودية والغيرية – غير اليهود في منظار اليهودية –/** ألبيرتو دانزول، ترجمة ماري شهرستان، دمشق: دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، ط١، ٢٠٠٤م.